سر رعيل

محمد بن حسن

ساحر الكتب

یزدعیل

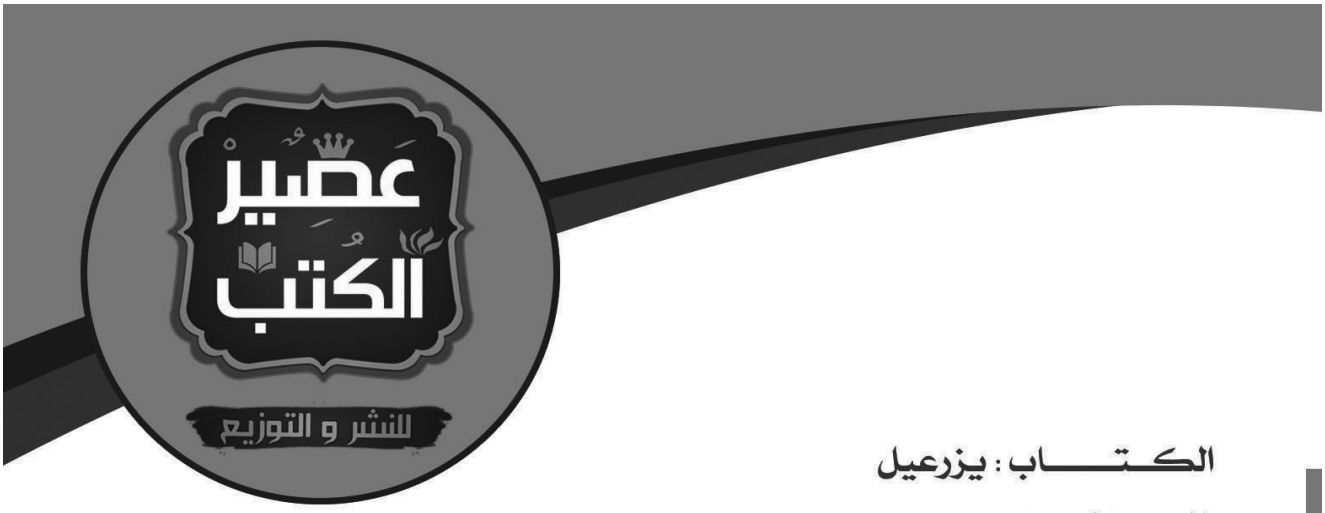

الكتاب : يزرعيل
المؤلف : محمد بن حسن
تدقيق لغوي: محمد بن عماد
تنسيق داخلي : سمر محمد
الطبعة الأولى: أغسطس 2019
رقم الإيداع : 2019/14866
I.S.B.N : 978-977-992-060-3

المدير العام:محمد شوقي
مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع الحقوق محفوظة ©

عصير الكتب للنشر والتوزيع

بزعيل

رواية

محمد بن حسن

عصير الكتب
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى المسلمين ((هذه الرواية منكم وإليكم))

إلى زوجتي ((أنتِ ملهمتي وقلبي النابض))

بـين مـا هـو آتٍ وبـين عصور غابـرة في قعـر التاريـخ تكون رحلتـك مع عالم مختلف، سـتعبر روحـك بَيْنَ سـراديب الحقيقة والخيـال، الماضـي والحاضـر، بَـيْنَ البدايـة والنهاية تقبـع ألف حكاية سوف تحبس أنفاسك وتخطف نبضك وتُلقيك ببحور الأفـكار، هل ما تعرفه وهم وسـراب؟!

ما بين يديك خيال؟!

أم شمس ظاهرة تأبى الأفول؟!!

تلك إجابة لن يجدها غيرك...

فهل أنت مستعد؟!

البيت المهجور

تبدأ القصة من ذلك البيت المهجور الذي لا أبالغ إن وصفته بالمخيف، كان هذا البيت متواجد بجوار منزلي، ورغم وجود هذا البيت المهجور منذ ولادتي إلا أني لم أدخله من قبل، والذي جعلني لا أدخله ولا أنوي دخوله، أن هذا البيت لا يراه أحد غيري مطلقًا، وكلما تحدثت مع أحد بخصوصه وقلت له هل ترى هذا البيت المهجور، يقول لي ماذا حدث لك يا أبا حمزة، أين ذلك البيت؟! لا يوجد شيء يا رجل!

يمكنك القول أن هذا البيت يمثل لي المجهول، وكان لا يزال يشغل بالي كثيرًا، وأحيانًا أشعر أن عقلي يطيش مني بسببه، وقبل أن أجن جلست ذات ليلة أحدث نفسي بدخوله، ولكن كان ولوجه بالليل أمرًا مستحيلًا، فقلت لنفسي ماذا بك يا رجل المسلم لا يخاف إلا الله؟! وعزمت إن أبقاني الله لصباح تلك الليلة أن يكون أول شيء أفعله مع أول ضوء هو دخول ذلك البيت المهجور.

وبينما أنا كذلك حتى غرقت في النوم وحل الصباح، وبمجرد استفاقتي كان عقلي منشغلًا! فعقلي لا يشغله غير

الفكرة التي نمت وهي تعرك برأسي كعرك الأديم، ارتديت ملابسي، ونزلت وأنا أقدم قدم وأؤخر أخرى، حتى أصبحت أنا والبوابة الخاصة بسور هذا البيت وجهًا لوجه، كان البيت يخيم عليه الظلام رغم أن ضوء النهار يملأ المعمورة.

تقدمت وأمسكت بالبوابة ودفعته للداخل بقوة، كان الباب حديديًّا ثقيلًا، واحتاج مني جهدًا كي يفتح، وبمجرد محاولة فتحه شعرت أنه لم يفتح من سنوات طوال، ويخرج أثناء دفع البوابة صوت مزعج حدث معه صرير لأسناني، وما إن فتح بقدر يمر منه جسدي فقط حتى توقفت وفكرت بأن ألج البيت، خطوت خطوة واحدة فقط بعد دخولي من البوابة فنظرت يمينًا ويسارًا، وإذ بي أجد حديقة من النباتات الميتة والأشجار العارية، شعرت وكأني في مشهد من فيلم رعب المنظر مخيف إلى حد كبير، ثم نظرت للأمام فوجدت باب البيت أمامي وبيني وبينه ممر مليء بأوراق الشجر اليابسة، فتقدمت للأمام وأنا أسمع صوت تحطيم قدمي للأوراق اليابسة، وكان هذا الصوت يشعرني بالتوتر.

فكرت حينها أن أتراجع وأخرج من هذا البيت مرة أخرى، ولكن كان لا بد من استكشاف هذا البيت، فالفضول يقتلني وأريد أن أتخلص من ذلك الشغف الذي يملأ داخلي، حملتني قدماي بعد سلسلة من الخطوات البطيئة إلى أن وصلت لباب البيت الداخلي، وعند وصولي أمسكت بقبضته بقوة وفتحته،

ورأيت الغبار يتناثر في الهواء بعد فتحه، انتظرت وقتًا حتى زال الغبار ودخلت إلى جوف البيت، كان البيت من الداخل عبارة عن ساحة مربعه طولها كعرضها لا غرف لها، نظرت يمينًا ويسارًا وللأعلى وللأسفل، لا شيء سوى طاولة خشبية وبجانبها كرسي واحد.

توجهت تلقاء الطاولة، وعند وصولي لها وجدت كتابًا فوق الطاولة، كان الكتاب غريب الشكل، فحجم الكتاب عملاق، ودفتاه من الخشب، متراكم عليه الغبار، الكتاب للوهلة الأولى تشعر بمدى عراقته!

فقمت بنفخ الغبار فظهر لي عليه جملة محفورة عليه بخط جميل ومكتوبة باللغة العربية والجملة هي (الصالحون يرثون الأرض)، كانت الكتابة تشع بالنور، ويتأرجح فيها شعاع لامع يتحرك تارة نحو اليمين وتارة أخرى نحو الشمال.

بمجرد قراءتي لهذه الجملة أُثلج صدري، واطمأن قلبي وزال عني الخوف، هممت مسرعًا بفتح الكتاب، مسكت بيدي دفة الكتاب الخشبية وفتحته، فوجدت أوراقه من جلد الحيوانات، ثم بسطت يدي نحو الكتاب وفتحته، وأمسكت بيدي ورقة عشوائية منه، وبمجرد قراءتي لأول كلمة في الصفحة حدث أمر عجيب، شعرت بزلزال يضرب المكان، وكأن البيت سينطبق سقفه على أرضه، هممت بالجري مسرعًا خارج البيت، وأنا واضع يدي فوق رأسي خشية أن

يسقط عليها شيء، وهنا حدثت المفاجأة حيث اختفى المكان الذي كنت فيه، لقد اختفى البيت والكتاب والطاولة وكل شيء، وبدأت المعالم من حولي تتغير فأصبحت في مكان غير المكان، كان المكان حولي وكأنه سهل من السهول، وكان أمامي شيخ يرعى الأغنام ويلبس ملابس غريبة!

تقدمت نحوه وقلت له يا عم فلم ينتبه لي.

قلت لعل الرجل سمعه ضعيف، فصحت يا عمممم...

أيضًا لا يستجيب لي!

فقلت لعله أصم، فهممت أن أضربه على كتفه كي ينتبه لي، صدمت عندما رأيت يدي تمر بجسد الرجل وكأنني شبح!

وبعد عدة محاولات قمت بها تترًا محاولة أن أتواصل مع الراعي الذي كان أمامي، علمت أنه يمكنني سماع كل شيء حولي ومشاهدته وبنفس الوقت لا يراني أحد ولا يشعر بي أحد، كما أنه لا يمكنني أن أحدث أي تغير حولي، فلا يمكنني حمل أو نقل غرض من مكانه خف أو ثقل، كان الوضع أشبه ما يكون بأني أشاهد فيلمًا ثلاثي الأبعاد، أنا داخل القصة لكن لا دخل لي بما يحدث، ومن هنا كانت بداية القصة مع ذلك الكتاب.

الورقة الأولى
(الكاهن)

التاريخ: سنة ٥٥١ هـ

المكان: حصن حارم.

بعد أن حدث ما حدث حملني فضولي أن أقرأ الكتاب من أوله، فأمسكت سجله الخشبي وفتحته، وكان على أول صفحة في الكتاب رسمة لنجمة داوود وهي محطمة، ويكثر من حولها الجثث -علمت من ضفائرهم التي تخرج من أجناب رؤوسهم أنهم يهود- فأسرعت وأمسكت الورقة، فزُلزل المكان كالمرة السابقة، وتبدل من حولي بمكان آخر رأيت فيه مجموعة من الأغصان المتهالكة القبيحة التي تعانق بعضها بعضًا مكونة كوخًا دميم المنظر، لم أرَ مشهدًا موحشًا كهذا الكوخ، وكأنه لا يسكنه إلا الشياطين! ليس حوله أي عمران وكأن الذي يسكنه لا محالة من الجان.

في هذه اللحظة وأنا شارد الذهن مع هذا المنظر الموحش، فجأة وجدت أمامي رجلًا يركب جواده يمشي رويدًا رويدًا، ممسكًا بلجام دابته بقوة، ويمسح على ظهر الفرس برحمة، رجل تعلوه الهيبة ذو لحية كثيفة كبيرة تضرب ما بين منكبيه على صدره، وكأن الوقار والسكينة يقطران من صفحة وجهه.

ثم وجدته ينظر باتجاه الكوخ، فسحب لجام فرسه فتوقف مباشرة، مما جعل الغبار يتناثر عند حوافر الفرس، نزل الرجل من فوق جواده، وبدأ يترجل بعض الخطوات ثم أشار بسبابته للكوخ وخاطب أحد الجنود قائلًا:

- لمن هذا الكوخ؟!

فقال الجندي:

- إنه لكاهن من اليهود طاعن بالسن أيها الأمير.

فقال الأمير:

- عجبًا لا بد وأن له شأنًا، ائتوني بهذا الكاهن وتعجل بالأمر!

- أبشر أيها الأمير سيكون أمامك -إن شاء الله- في أسرع وقت.

ومرت ساعة، والأمير ينظر للكوخ ويتأمله، وكأنه يحدث نفسه لماذا يسكن هذا الكاهن الهرم في هذا المكان المنقطع، حيث لا شيء هنا غير كوخه هذا!

يا لبشاعة كوخه ودمامته ووحشته، ثم نظر الأمير فوجد صخرة عريضة فجلس عليها، وما زال ذهنه شاردًا ومقلتاه شاخصتين لذلك الكوخ، ثم يقطع هذا الهدوء صوت الجندي.

- السلام عليك أيها الأمير ها هو الكاهن!

الأمير يرد:

- وعليكم السلام جزيت خيرًا! كفيت ووفيت... (ثم يلتفت ويوجه نظره للكاهن مبتسمًا): تعالَ أيها الكاهن! السلام على من اتبع الهدى، يا الله يا لك من شيخ كبير أكل على ظهرك العمر وشرب، ادنُ مني!

- شكرًا لك أيها الأمير هل من الممكن أن تعرفني بنفسك؟!

- نعم، أنا نور الدين محمود زنكي، تعالَ أيها الشيخ اجلس هنا بجواري على هذه الصخرة، فإني أريد أن أسمع حديثك، قل لي أولًا كم عمرك؟

- أنا قد تجاوزت المائة عام أيها الأمير.

- (مبتسمًا) ويحك وما آن لك أن تسلم؟!

- إن نبيكم هو نبي للأميين، أما نحن فيهود لا يسعنا إلا أن نتبع شريعة موسى.

- ويا تُرى هل لديك علم؟ فإني أريد أن أسمع منك.

- لدي من العلم الكثير ولكنك لن تصدقني.

- حدثني وسوف أنظر في كلامك، فإن كان كلامك يوافق ما جاءنا من الحق قبلناه، وإن تعارض رد عليك.

- سوف يأتي أيها الأمير زمان يكون فيه أركان هذه الأرض تحت إمرتنا، نحن الآمرون الناهون، لا شيء يفعل إلا بأمرنا، وسوف نسلط على المسلمين خاصة، فنقتل أطفالكم ونساءكم ورجالكم، ونكون نحن الملوك ويسند لنا البتّ في أمركم.

هنا ينتفض الأمير صارخًا وقاطعًا لكلام الكاهن والغضب يشتعل في وجهه، وأوداجه منتفخة كأنه الذي يسري بها براكين وليس الدم:

- ألا خسئت يا عدو الله أيكون لليهود دولة؟! ويقتلون من؟! يقتلوننا نحن لعنك الله يا لك من شيخ كاذب، أيكون لكم دولة وأنتم مشردون في الأرض من قرون لا دولة لكم، لولا أني أخشى الله لقطعت رأسك.

- بل إني صادق أيها الأمير أتعطيني الأمان حتى أكمل لك كلامي؟

الأمير ينظر له بعين يشتعل فيها الغضب، ثم يخرج من صدره زفيرًا طويلًا، ثم قال له:

- نعم لك هذا.

يبتسم ابتسامة صفراء ترتسم على وجهة المجعد وعيونه الجاحظة، ويهز رأسه يمينًا ويسارًا، فتتحرك الضفائر التي بجانب أذنيه، ويكمل كلامه في حماس:

- بل أزيدك أيها الأمير، أننا في هذا الزمان نجوع من نشاء، ونطعم من نشاء، وتدك المدن بإشارة واحدة من إبهامنا، وينحني لعظمتنا الملوك، فنملك من نشاء، ونسقط من الملوك من نشاء.

وبينما الكاهن يتحدث لم يتحمل الأمير كلامه، وكان جالسًا فقام، وقال له:

- كذبت يا عدو الله يا شيطان لعنك الله!

- والله إني لصادق!

- ومتى تكون نهايتكم؟!

تغيرت ملامح الكاهن وارتسم الحزن عليه، وكأن بي برجل شوه الله خلقه، قبحه الله من وجه وقبح حامله، كانت التجاعيد بوجهه حينها كالأحقاف التي عصفت بها الرياح، فتنهد الكاهن تنهيدة، وكأن روحه خرجت معها، وبدأ الكاهن الكلام بصوت حزين، وكأن العبرة تخنقه، بل وكأن الأمير طعنه بخنجره حينما وجه لهذا السؤال، يتكلم ومع كل كلمة

يصبح وجهه شاحبًا أكثر فأكثر وكذا يزداد سواد وجهه، حتى انتهى كلامه، وكأن وجهه طلع الزقوم، وبدأ حديثه قائلًا:

- نعم، سيكون هلاك بني إسرائيل على يد رجل مسلم من قبل العراق يأتي، فنجمع له أهل الأرض مرتين فنكسره، وبعدما نظن ظن اليقين أنه هلك، نفاجأ به ومعه رجال قلوبهم كزبر الحديد، كأنهم وحوش ضواري تتصارع في ظهورهم الآساد والنمر، فيبيد اليهود عن بكرة أبيهم لن يبقى منا أحد! إلا بعض فلول هاربة لها موعد آخر يتجمعون مع المخلص! ويا أمير ما قلته لك حق، ولو أنك فتشت القرآن وأحاديث نبيكم لوجدت ما قلته حقًّا.

- هل تعلم ما اسمه؟!

- نعم، بالتأكيد أعلم اسمه، فاسمه هو....

وقبل أن أسمع اسمه تزلزل المكان حولي ورجعت للبيت المهجور ووجدت الصفحة في يدي تتلاشى، وتتساقط من أعلى الورقة ذرات مضيئة، وكأنها نجوم تتساقط من الورقة جزءًا جزءًا، ثم ترتفع تلك الذرات المضيئة فتملأ البيت، وأضفت بعد الضوء على الساحة المظلمة، وقبل أن تختفي تمامًا، وجدت بالصفحة قطعًا في آخرها، وقلت لعله الجزء المذكور فيه اسم من يهلك بني إسرائيل على يده، كدت أعض أناملي من الغيظ ليس من المعقول أن يكون القطع عند هذا الأمر الهام جدًّا...

وقلت لا بأس لعل الصفحة التالية أجد بها مرادي، وهممت بفتح الصفحة الثانية.

الورقة الثانية

(دانيال)

التاريخ: القرن السادس قبل الميلاد.

المكان: بابل.

كانت الرسمة على الصفحة عبارة عن رجل يعلوه الوقار والهيبة تلتف الأسود حوله وتتمسح به وكأنها القطط، مسكت الصفحة ويلفح قلبي حرارة الشوق لمعرفة ما بها، وكالعادة اهتز المكان وتزلزل ثم ظهر لي مشهد لملك جالس على كرسي من الذهب اللامع وأمامه مائدة عليها من الطعام ما لذ وطاب، ورغم كمية الطعام الضخمة إلا أنه لم يكن غيره يأكل، رغم أن الأكل يكفي لوليمة ضخمه، وبينما هو يتناول طعامه دخل عليه جندي وقال:

- أيها الملك لقد عصى أمرك دانيال، وسجد للّه.

فقام من على الطاولة وضربها بكلتي يديه بقوة غاضبًا، ثم قال تحرك ائتني به فورًا...

تحرك الجندي ومعه قوة لا يستهان بها من الحرس، يهرولون في الشوارع التي كانت البيوت فيها تتكون بعضها من طابق والبعض من طابقين، حتى أتى بيتًا صغيرًا من طابق واحد يعلوه القش، وكأنه يتكون من غرفة واحدة، ودون أن يقوما بطرق الباب، قاموا بركل باب البيت فكسروه، فدخلوا حيث نظرت فوجدت رجلًا ساجدًا، فانقضوا عليه وسحبوه من منكبيه راجعين به إلى الملك.

دخل الجنود على الملك وأقفوا الرجل الذي معه أمامه وهو مكبل بالقيود، والملك ينظر دون أن يتحدث وهو جالس على عرشه، ثم أخذ ينظر للرجل الواقف بين يديه مليًّا وهو صامت، والجنود يترقبون المنظر، والرجل المكبل بالقيود واقف ينظر إلى الملك ورأسه مرفوعة تشعر للوهلة الأولى وكأنه لا يأبه لهم.

ما زال الملك صامتًا، ثم انتفض الملك واقفًا، وصرخ في غضب شديد وهو يشير للرجل المكبل بسبابته:

- لِمَ عصيت أمري يا دنيال؟ ألم أقل لك أنه هنا في مملكتي لَا تقام شرائع ولا طقوس؟ ألم أخبر الشعب كله بهذا؟!

(ثم صرخ وهو يحرك يده على نحره قائلًا): لأذبحنك!

ثم هدأ صوته وقال:

- لا لا... لن أذبحك؛ الذبح هو رفاهية لك...

(ثم قال):

- سوف أنزع قلبك بيدي من صدرك وأنت حي!

ثم هدأ أكثر وتقدم خطوات حتى أصبح وجهه في وجه دانيال، بينما دانيال ينظر إليه ويبتسم، فغضب الملك مرة أخرى، وقال:

- يا جنود خذوه فألقوه في جب الأسود!

فأنكب الحراس على دانيال وهو مكبل بالقيود، وكأنهم انكفئوا من منحدر مسرعين، فأمسكوه ومضوا به وهو يمشي معهم، ثم التفت دانيال للملك وابتسم، ثم رجع فنظر أمامه ومشى معهم، فنزل الحراس به إلى قبو القصر، وانتهوا به إلى مكان حيث يوجد بالأرض غطاء حديدي عبارة عن أسياخ من الحديد تشكل مربعات مع بعضها البعض، فقام اثنان من الجنود برفع هذا الغطاء بصعوبة، ثم قاموا بإزاحته حتى كشفوا الفتحة الموجودة بالأرض، فنظر دانيال للأسفل ووجد مجموعة من الأسود كانت الإضاءة خافتة لا تظهر عددهم، لأنه لا ضوء بالداخل إلا قليلًا من الضوء الصادر من المصابيح الزيتية المتواجدة بالساحة التي يقف بها دانيال والجنود.

قال أحد الحراس لعبدٍ أسود هو المسئول عن الأسود:

- لا تطعم الأسود فطعامهم دانيال!

فقال له العبد:

- أمرك أيها القائد!

فما لبثوا إلا أن دفعوا دانيال إلى فوهة الجب فسقط داخله، ثم أعادوا الغطاء الحديدي لمكانة مرة أخرى وأغلقوه بإحكام، وفي اليوم التالي جاء الملك وأمر الحراس أن يفتحوا الجب وبعدما كشفوا فوهة الجب أطل الملك برأسه ليرى كم تبقى من دانيال!

فإذا به لا يستطيع الرؤية جيدًا حيث أن الإضاءة خافتة، فقال للجندي:

- أحضر لي مصباحًا!

فقال الجندي:

- لبيك أيها الملك!

وهرول سريعًا وأتى الملك بالمصباح، أمسك الملك بالمصباح، وجعله فوق فوهة الفتحة تمامًا، ثم اشرأب برأسه لينظر ماذا حل بدنيال، وكانت المفاجأة رأى الملك الأسود ملتفة حول دانيال، ودنيال ساجدًا وسطها يتضرع إلى اللّه -عز وجل-، فصاح الملك مخاطبًا دانيال:

- كيف هذا؟ كيف لم تأكلك الأسود؟ أسحرتها أم ماذا فعلت؟!

لم يرد عليه دانيال حتى فرغ من صلاته، ثم وقف ونظر دانيال للملك، وقال له:

- أيها الملك «راديوس» ملك بابل! لقد حفظني رب السماء من ملك بابل.

وبينما دانيال يتحدث أخذت الأسود تتحرك حوله وتحك نفسها به وكأنها القطط تمامًا، وأكمل قائلًا:

- أيها الملك «راديوس»! اللّه الذي خلقني وخلقك من أمرها بذلك، نزع منها فطرتها -سبحانه- هو القوي العزيز الذي يمنع من لجأ إليه.

هنا اهتزت الأرض مرة أخرى واختفى المشهد الذي كنت أراه، وانتقل لمكان آخر، فإذا بي بنهر عظيم على جنبه الشرقي الخضرة والنضرة وعلى شطه الغربي جثث وويل وثبور، كانت السماء منهلة بالمطر، وحينما دنوت من الجانب الغربي رأيت وسطهم ملكًا يرفع رأسه ويمشي بتبختر وسط الهالكين، وكان ماء المطر على الأرض والوحل أحمر اللون بلون الدماء المسفوكة.

صرخ هذا الملك بصوت عالٍ:

- تبًّا لبني إسرائيل! لقد غدرت بي وتحالفت مع «نخاو» ملك مصر، يظنون أن «نخاو» قادر على إلحاق الهزيمة بي،

الويل لكم يا بني إسرائيل! لأسحقنكم سحقًا بأقدامي كما أسحق خشاش الأرض اليابس!

وأثناء انشغالي بحديث النفس، حول ماهية وكينونة ذلك الملك! انتقل المشهد سريعًا، فرأيت نفس الملك يركب فرسه ومعه جيش عظيم جرار واقفًا على حافة تبة مرتفعة، وتحتها تقع أسوار القدس، فترجل الملك من على فرسه ثم وقف على الحافة التي كان أسفلها منحدر بنهايته أسوار القدس، وقف هناك واضعًا يديه خلف ظهره، ثم بسط يده وأشار بسبابته لجنده نحو القدس، ثم تكلم بصوت جهوري مرعب:

- انطلقوا، لا تتركوا أحدًا! دمروا كل شيء حتى هيكل اليهود! لا تتركوا فيه حجرًا على حجر! أيها الجنود إن هذه البلد حلٌّ لكم، افعلوا فيه وبه ما شئتم، جيسوا خلال الديار، أحرقوا اقتلوا، اذبحوا! فاليوم أنتم غير مسئولين عن شيء... (ثم ابتسموا ابتسامة لم أستطع فهمها هل هي ابتسامة سخرية أم إنها نوع جديد من الابتسامة يسمى ابتسامة الانتقام؟! ثم حدث نفسه بصوت مرتفع قليلًا): فهذا جزاؤهم أن تحالفوا مع «نخاو» ملك مصر الذي سحقته على شط الفرات.

وما إن سمع الجند هذا الكلام إلا وانطلقوا كالنمور والصقور، كأنه سيل أرسل من رأس جبل أو كأنهم فوج من

يأجوج ومأجوج، فحرقوا وخربوا وسفكوا الدماء ودمروا، وأسروا جميع من تبقى من اليهود وقيدوهم بالحبال، سويعات وأصبحت القدس كأن لم تغنَ بالأمس، وكأن سحابة تحمل حممًا من نيران أمطرتها، أصبحت وكأنها لم تكون!

انتقل هذا الملك وجيشه والأسرى اليهود المكبلون بالأغلال إلى بابل، وما أدراك ما بابل! ها هي حدائقها المعلقة التي كانت كالتلال بعضها فوق بعض، تتساقط المياه بين طوابقها من الأعلى للأسفل جمال لا يعقل ولا يوصف، بيوت في غاية الجمال يظهر عليها الثراء المتوحش، وليس الفاحش، الثراء الذي يفترس القلوب والعيون!

وهناك في وسط هذا الجمال وفي منتصف الطابق الأعلى كان عرش الملك الذي دنوت منه، فرأيت نفس الملك جالسًا على عرشه يجتمع حوله حاشيته، وكان يتحدث معهم، ولكن ملامح وجهه هذه المرة ليست كملامحه السابقة، فأرى خوفًا وقلقًا يكسوا وجهه، وتعابير وجهه وتجاعيدها يظهر عليها الحيرة، دنوت منهم حتى سمعت حوارهم.

كان الحوار بين الملك وقائد حرسه، فقال قائد الحرس:

- أيها الملك العظيم «نبوخذ نصر» ما الأمر؟

الملك نبوخذ نصر:

- إني رأيت أحلامًا أفزعتني، وأريد أن تجمع لي كل العرافين والسحرة وكهنة النار كي أعرف ماذا تعني هذه الأحلام.

- أمرك مطاع يا سيدي! (وانطلق ذاهبًا).

خرج قائد الحرس وقام الملك يتجول في ساحة عرشه، واضعًا يديه خلف ظهره قابضًا بيد على الأخرى، ويقول بصوت خافت: «ما هذا الحلم الملعون الذي يتكرر علي باستمرار، لا أفهم حقًّا ماذا يعني ذلك الحلم؟ إنه -حقًّا- مرعب»، وما زال الملك على هذا الوضع يتجول ويتمتم بكلماته الأسيفة حتى قرع باب الساحة قائد الحرس ومعه أكابرة السحرة والعرافين وكهنة النيران.

ذهب الملك وجلس على عرشه مرة أخرى وأسند يديه إلى ركبتيه، فتقدم الكهنة والعرافون والسحرة بتجاه الملك، ثم استقروا على مسافة من عرشه، وانحنوا له وقالوا له:

- تحية لك أيها الملك العظيم «نبوخذ نصر»!

فقال الملك:

- ارفعوا رؤوسكم لقد أفزعني حلم يراودني كل فترة، وأريد منكم أن تخبروني ماذا يعني هذا الحلم، تقدم يا كبير السحرة وقل لي ماذا يعني هذا الحلم؟

كبير السحرة:

- لبيك يا مولاي! قص عليّ الحلم وأنا أفسره لك.

ابتسم الملك ثم قال:

- لا، لا، أريد منك أن تحكي لي ماذا رأيت ثم تفسره لي.

- وكيف أفسره لك يا مولاي وأنت لم تقل شيئًا!

الملك قال في غضب:

- ارجع للخلف! تقدم أنت يا كاهن النار!

كاهن النار:

- لبيك يا مولاي!

- هيا قل لي بماذا حلمت ثم فسره لي.

نظر حوله ثم نظر لكبير السحرة باستغراب ثم نظر للعراف بحيرة، ثم نظر للملك وقال له:

- كيف هذا أيها الملك؟!

الملك صارخًا فيه بغضب شديد:

- ارجع للخلف يا كذاب! تقدم أنت يا كبير العرافين!

تقدم كبير العرافين وقدماه ترتجفان ولا تستطيع حمله، وكأنه يساق للموت ثم أنحنى وقال:

- لبيك أيها الملك العظيم «نبوخذ نصر»!

- هيا أجبني على ما فشل قريناك في إجابته.

كبير العرافين صمت ولم يرد...

انتفض الملك واقفًا صارخًا:

- يا كبير الحرس! اسحب هؤلاء الكلاب الكذبة، وقطعهم إربًا إربًا! واقتلهم أشنع قتلة! هؤلاء ما هم إلا مجرد كذبة.

على الفور ساقهم كبير الحرس وهم يولولون ويصرخون بكلمات ترجِ، فضربهم الحراس حتى يصمتوا، ولم يصمتوا فأخذوهم بعيدًا حيث ساحة كبيرة ليست ببعيدة عن الحدائق المعلقة، ثم كبوهم على وجوههم وقطعوهم بالسيوف لقيمات رُميت، ليتكوم حول أشلاء جثثهم النسور.

ثم أمر الملك بجمع كل حكماء مملكة بابل، وطلب منهم أن يقولوا له بما حلم، ففعل الحراس ما أمر به «نبوخذ نصر»، وجلبوا له كل من عرفوا من الحكماء الذي لم يستطيعوا أن يجيبوه فقتلهم جميعًا، انتشر الخبر في أركان المدينة، وأصبح حديث الساعة بين الناس عن «نبوخذ نصر» وأحلامه التي تعانق الموت!

وبعد فترة دخل «آريوخ» قائد الحرس للملك «نبوخذ نصر»، وقال له:

- أيها الملك إن في بني إسرائيل رجلًا يدعى «دانيال» وهو أعلمهم، فلعله يجيبك أيها الملك ويفسر لك الحلم.

- هؤلاء قوم خونة، خانوني مع «نخاو» ملك مصر.

- إن كان «دانيال» كذلك أيها الملك فنأتيك به فإن أجاب كان بها، وإن لم يجب كان لنصول سيوفنا من بدنه نصيب!

بعد هذه الكلمات أمر الملك آريوخ بإحضار دانيال، جاء الحرس بدانيال إلى الملك، فقال الملك:

- لقد قال لي آريوخ أنك رجل صالح صاحب علم، ولا شك أنك تعلم بقصتي وخبر حلمي، فهيا قل لي ما هو الحلم وتفسيره وإلا كان جزاؤك القتل لا يحول بينك وبين السيف شيء.

- أعطني مهلةَ يوم أيها الملك فأتضرع إلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد فيخبرني بحلمك وتفسيره.

- قال لا مشكل في هذا! خذوه يا حراس إلى بيته، واحرسوا بيته حتى لا يتمكن من الهرب وائتوني به غدًا!

ذهب الحراس بدانيال إلى بيته، فدخل البيت وسجد لله -عز وجل- يحمده ويثني عليه ويسبح بحمده، ويطلب منه أن يريه ما رأى «نبوخذ نصر» في رؤياه، وجلس دانيال على هذا

الوضع يدعو اللّه ويثني عليه، حتى تعب ثم ذهب يأخذ غفوة، وما لبث إلا قليلًا، فقام من النوم متهللًا سعيدًا، فسجد للّه شكرًا أن أراه الرؤيا وتفسيرها في المنام، وفي الصباح طرق الحراس باب دانيال فخرج لهم وتحركوا باتجاه الملك.

دخل دنيال على الملك سعيدًا يظهر ذلك في وجه، فقال له الملك:

- يعلو وجهك السرور، فهل ستخبرني بحلمي وتفسره لي؟

- نعم، أيها الملك!

ثم استرسل دانيال قائلًا:

- أنت أيها الملك قد رأيت تمثالًا عجيبًا يقف أمامك، وكان رأس هذا التمثال من ذهب، وصدره وذراعاه من فضة، وخصره وفخذاه من نحاس، وساقاه وقدماه من حديد، إلا أن قدميه في بعضهما خزف من الفخار، ثم رأيت أيها الملك صخرة ارتفعت من الأرض ثم انطلقت هذه الصخرة، وضربت التمثال على قدميه، فصار التمثال كله كالعهن المنفوش لا أثر له، ثم استقر هذا الحجر مكان التمثال، وأصبح جبلًا عظيمًا يملأ الدنيا، أليس هذا ما رأيت أيها الملك؟!

الملك نبوخذ نصر قام من عرشه سعيدًا مسرورًا، قائلًا:

- نعم، هذا ما رأيت تمامًا، هل تفسره لي رجاء؟!

- نعم، فقد أطلعني عليه من لا يخفى على علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض الذي خلقني وخلقك لا إله إلا هو سبحانه، وقد أراني تفسيره، وسوف أريح بالك وأثلج صدرك بتعبير ذلك الحلم.

- حقًّا إنك لذو علم وصادق، هلمَّ أخبرني بتأويل ذلك الحلم!

- أما الرأس الذهبية فهي تشير إلى مملكتك، وهي أكبر الممالك، ثم تقوم بعدك مملكة ثانية أصغر من مملكتك وهي المشار لها بالفضة، ثم تقوم بعدها مملكة ثالثة وهي المملكة المشار لها بالنحاس فتتسلط على الأرض، ثم تقوم مملكة رابعة صلبة كالحديد فتدق المملكة الثالثة، وتنقسم إلى قسمين، وتكون قوية إلا أن يكون بأحدها ضعف وهو ما رأيت من الفخار.

وفي زمن هذه المملكة الحديدية المنقسمة يقيم الله مملكة خامسة تسحق هذه الممالك، ويثبت ملكها إلى الأبد، وهي ذلك الحجر الذي ضرب التمثال فسحقه واستقر مكانه وكبر، وتكون هذه المملكة تابعة لنبي آخر الزمان الذي سيسقط أتباعه هذه الممالك، ويملكون الدنيا كلها ويقيمون فيها شريعة الرب.

اهتز المكان وبدأ المشهد يتلاشى كالعادة، ورجعت لتلك الغرفة مرة أخرى واختفت الورقة وأصبحت غرفة المنزل أكثر إضاءة، فقد انتهت ورقت دانيال، وقد بدأت أتفكر ما هذا الترتيب الغريب؟ إلا أنني بالحقيقة كنت مستمتعًا، ربما حتى اللحظة أنا لا أفهم شيئًا من هذا التسلسل الغريب، لكن لا أنكر أن الأمر بحد ذاته ممتع، وتخطت إثارة المواقف فضولي، توجهت في شغف للصفحة الثالثة.

الورقة الثالثة

(رسالة)

التاريخ: القرن السابع الميلادي.

الموقع: شمال جزيرة العرب.

ملك يجلس على عرشه وصليب ذهبي يضرب ما بين صدره، ويكلمه حارسه:

- يا هرقل العظيم! رجل بالخارج يحمل لك رسالة، ويريد أن يسلمها لك بنفسه.

فأشار لهم هرقل أن أدخلوه، دخل رجل يرتدي ملابس عربية وبيده رسالة، فقال الترجمان الموجود لذلك العربي أعط الرسالة للحارس، فأبى وقال لا بد أن أسلمها في يد الملك، أخبر الترجمان الملك بأن العربي يريد تسليم الملك الرسالة في يده، فقدم الملك يده له إشارة أن أعطني الرسالة، فتقدم العربي وسلمه الرسالة.

ثم بدأ هرقل يسأل والترجمان يترجم:

- من أنت؟

فأجاب العربي:

- أنا دحية الكلبي رسول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لك.

سلم هرقل الرسالة للترجمان وطلب منه قراءتها وترجمتها، فبدأ المترجم يقرأ ويترجم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الآريسيين، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾».

وانصرف دحية الكلبي -رضي الله عنه- بعد أن أدى مهمته بنجاح، وهنا طلب هرقل من حراسه أن يأتوه ببعض العرب حتى يتأكد ممن أرسلها، فالنبوءات عنده موجودة بأن هذا زمن خروج المسيا الأعظم، والأمر جد وليس بالهزل فلعله يكون هو، فخرج الحراس يبحثون عن وفود العرب، وبالفعل

كان من حظهم العظيم أن زعيم قريش أبا سفيان موجود في الشام مزامنة مع هذه الأحداث، فأخذه الحرس ومن معه من العرب لمقابلة هرقل.

دخل الحارس وأخبر هرقل أنه أحضر له ما يريد، فدخل أبو سفيان ومن معه وكان الترجمان بينه وبين أبي سفيان، فأمر هرقل أن يتقدم أبو سفيان، وطلب من الترجمان أن يخبر من خلفه أن هرقل سوف يسأل أبا سفيان بعض الأسئلة، فإن كذب في أي إجابة فليعلموه، وبدأ الحوار:

هرقل: كيف نسبه فيكم؟

قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب.

قال هرقل: فهل قال هذا القول من قبلكم أحد قَطُّ قبله؟

قال أبو سفيان: لا، لم يَدَّعِ أحدٌ في تاريخ العرب النبوة.

فقال هرقل: هل كان من آبائه من مَلِك؟

فقال أبو سفيان: لا.

قال هرقل: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟

قال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

قال هرقل: أيزيدون أم ينقصون؟

قال أبو سفيان: بل يزيدون.

قال هرقل: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قال أبو سفيان: لا، لا يرتد منهم أحد.

قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قال أبو سفيان: لا.

قال هرقل: فهل يغدر؟

قال أبو سفيان: لا... ثم قال: ونحن منه في مدةٍ لا ندري ما هو فاعل فيها.

ثم قال هرقل: فهل قاتلتموه؟

قال أبو سفيان: نعم.

فقال هرقل: فكيف كان قتالكم إياه؟

قال أبو سفيان: الحرب بيننا وبينه سجال.

قال هرقل: بماذا يأمركم؟

قال أبو سفيان: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

قال هرقل: سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب من قومها.

ثم قال: سألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله؟ فذكرت أن لا، قلتُ: لو كان قال أحد هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيلَ قبله.

وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، فلو كان من آبائه من مَلِك، قلتُ رجلٌ يطلب مُلك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فَقَدْ عَرَفْتُ أنه لم يكن ليذَرَ الكذب على الناس ويكذب على اللّه.

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك أيرتد أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك بماذا يأمر؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا اللّه، ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم

بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فإن كان ما تقوله حق فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلمُ أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلصُ إليه لتجشّمتُ لقاءَهُ، ولو كنت عنده لغسلتُ عن قَدَمِهِ».

ثم صرح لهم هرقل في الانصراف بعد أن تأكد له صدق الرجل، حيث أنه لم يكذبه من خلفه، ثم استدعى هرقل كبير أساقفة الرومان «صغاطر» فدخل عليه، فعرض عليه هرقل الكتاب، فلما قرأ الأسقف الكتاب قال: هو واللّه الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر، قال هرقل: فما تأمرني؟ فقال الأسقف: أما أنا فإني مصدقه ومتبعه، فقال قيصر: أعرف أنه كذلك، ولكني لا أستطيع أن أفعل، وإن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم.

انصرف «صغاطر» ووقف أمام نافورة المياه المتواجدة أمام القصر، وقال:

«يا معشر الروم! يا معشر الروم! يا معشر الروم! (فتجمع الناس مسرعين حوله فكلمهم قائلًا): إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى اللّه -عز وجل- وإني أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن أحمد عبده ورسوله».

فما إن فرغ «صغاطر» من قولته تلك حتى وثب عليه من كانوا يسجدون له من قبل، وثبة رجل واحد فضربوه وهو يقول بصوت أنهكه الضرب:

«أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن أحمد رسول اللّه»...

وظل يرددها إلى أن فاضت روحه إلى بارئها، انتقل المشهد لرجل قدم على هرقل يريد مقابلته، فدخل الحارس على هرقل وقال:

- أيها الملك رسول من ملك غسان يريد مقابلتك.

هرقل:

- دعه يدخل.

رجل بني غسان:

- أرسلني بنو غسان لأخبرك بأن دولة الإسلام تشتد شوكتها في جزيرة العرب، وبدأ يستفحل أمرها.

هرقل:

- يا حراس أمسكوا هذا الرجل وأنظروا هل هو مختتن أم لا؟

رجل بني غسان ينظر حوله باستغراب ثم التف الحراس حوله وجردوه، وقالوا:

- نعم، إنه مختتن أيها الملك العظيم.

وترك الحراس الرجل وبدأ يضبط ملابسه مرة أخرى، هرقل:

- يا هذا هل العرب يختتنون؟!

رجل بني غسان:

- نعم إن العرب يختتنون.

قال هرقل مهمهمًا بينه وبين نفسه: «إذًا والله إنه لنبي الختان!» ثم أمر بأن ينصرف الرجل.

قال هرقل لحراسه أحضروا الأساقفة والبطارقة وبعد دخولهم عندي أقفلوا الأبواب جميعًا! وبعد أن انصرف الحراس أخذ هرقل يمشي خطوات وهو يتحدث مع نفسه بصوت مرتفع:

«لعله النبي حقًّا فالعهد بين الله وبين إبراهيم علامته الختان، فهذا ما تقوله لنا شريعة موسى ومسطر هذا بسفر التكوين من التوراة! ألعله يكون الصخرة التي قصدها المسيح بأنها تكون رأس الزاوية؟ هل يعني هذا أنه من نسل إسماعيل؟ لعله يكون الحجر الذي حلم به نبوخذ نصر وفسر دانيال له الحلم وينهي مملكتي!»

وبينما هو كذلك إذ دخل الحارس، وقال له: كبار رجال الدين موجودون أيها الملك، قال: دعهم يدخلون، وبعد ذلك افعل كما أمرتك، أحكم إغلاق الأبواب!

دخل رجال الدين وانحنوا لهرقل محيين له، فأمرهم هرقل أن يجلسوا على كراسٍ متواجدة على دفتي البساط الممدود أمام عرشه، ثم قال هرقل:

- يا عظماء الروم، يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد، وأن تثبت مملكتكم فتبايعوا هذا النبي؟!

فقام الجميع وكأن العقارب لسعتهم يجرون باتجاه الباب، وكأنهم حمر يطلبها قسورة، وفي لحظات وصلوا للباب، ولكن كان الباب مغلقًا بإحكام، فلما رأى هرقل نفرتهم، ويأس منهم، قال لحراسه: ردوهم علي.

ثم قال هرقل:

- إني قلت مقالتي آنفًا، أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت... (فسجدوا له، ورضوا عنه).

قلت لنفسي: «ويحك يا هرقل اخترت الفانية وآثرتها على الباقية، اخترت ملكًا لا شك عندك في زواله وتعلم أنه ساقط لا محالة، أمسيت يا هرقل واسمك لعنة في التاريخ وأصبح صغاطر وروحه معلقة بطير في عرش الرحمن!»

تغيرت المشاهد وتقدمت وكأن بهرقل تقدم في العمر شيئًا ما، وقدم عليه وفد وكان حينها بأنطاكيا، فدعا هرقل رجالًا منهم فأدخلوهم عليه.

فقال: حدثوني ويحكم عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟

قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أو هم؟

قالوا: بل نحن.

قال: فما بالكم؟

فسكتوا.....

فقام شيخ منهم وقال: أنا أخبرك، أنهم إذا حملوا صبروا ولم يكذبوا، وإذا حملنا لم نصبر، ونكذب، وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويرون أن قتلاهم في الجنة وأحياءهم فائزون بالغنيمة والأجر.

فقال: يا شيخ لقد صدقتني ولأخرجن من هذه القرية، وما لي في صحبتكم من حاجة، ولا في قتال القوم من أرب.

فقال ذلك الشيخ: أنشدك الله ألا تدع سورية جنة الدنيا للعرب وتخرج منها ولم تعذر.

فقال: قد قاتلتم بأجنادين ودمشق وفحل وحمص كل ذلك تفرون ولا تصلحون.

فقال الشيخ: أتفر وحولك من الروم عدد النجوم؟ وأي عذر لك عند النصرانية؟

فأرسل هرقل إلى رومية وقسطنطينية وأرمينية، وجميع الجيوش وقال لهم:

«يا معشر الروم إن العرب إذا ظهروا على سورية لم يرضوا حتى يتملكوا أقصى بلادكم، ويسبوا أولادكم ونساءكم، ويتخذوا أبناء الملوك عبيدًا، فامنعوا حريمكم وسلطانكم، وأرسلهم نحو المسلمين!»

انتقل المشهد لوادٍ واسع يقع بين جبال من ثلاث جهات يمتلئ الوادي بجمع غفير من الجنود يحملون أعلامًا لونها أبيض وصليبًا أحمر وبه حرف (P) باللون الأحمر، فعلمت أنها جنود الإمبراطورية البيزنطية.

صوت فارس يصيح: أيها القائد «باهان»، إن جنود المسلمين أغلقوا الطريق وسدوه وعسكروا بعدما عبروا النهر ولا يوجد أمامنا رجعه إلا بقتالهم!

باهان: يبتسم ويقول كم عددهم؟

الفارس: قدرنا عددهم بنحو ستة وثلاثين ألفًا يا سيدي

باهان: ولمَ أرى على وجهك أثر الفزع؟ نحن عددنا مئتان وأربعون ألفًا، وهذا يعني أن كل ثلاثة رجال منهم يقابلهم منا

عشرون رجلًا! صدقني الأمر لن يأخذ منا أكثر من سويعات ونبيدهم عن بكرة أبيهم.

الفارس: يا سيدي مؤتة ليست منا ببعيد، فقد هزمنا المسلمون وعددهم ثلاثة آلاف ونحن حينها كنا مائة وعشرين ألفًا، ولن أتكلم عن المعارك الأخرى فأنت تعلمها جيدًا!

باهان صارخًا: ويحك لا تبث روح الهزيمة في الجنود، سنمحو بهذه المعركة آثار الهزائم السابقة لا شك لدي في هذا!

الفارس: لا أبث روح الهزيمة ولكن لا بد من تحديد نقاط قوتهم بعناية فلا تنظر إلى عددهم، فأنت تعلم جيدًا ما حدث لجبلة بن الأبهم الغساني الذي جمع ستين ألفًا من الغساسنة والتقى مع المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ومن معه كان قليل، وتقاتلوا يومًا كاملًا ولم ينجوا من الغساسنة أحد.

باهان: هؤلاء كانوا عربًا أما نحن فالروم ونحن أهل الحرب!

الفارس: أتدري يا سيدي ماذا قال خليفتهم أبو بكر الصديق؟

باهان: ماذا قال؟

الفارس: قال والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد! وجعله يترك العراق خصيصًا لك، وهو الآن قائد تلك المجموعة المسلمة المعسكرة على شط النهر.

باهان يبلع ريقه، ثم قال: غدًا سوف ترى وعندما ينقشع الغبار تعلم تحت قدمك فرس أم حمار.

الفارس: يا سيدي أخشى إذا انقشع الغبار لا أكون حيًّا حينها.

باهان: اغرب عن وجهي!

غربت الشمس وجيش الروم في ثبات، أما جيش المسلمين فخُشَّعًا رُكّعًا رهبانًا بالليل وليوثًا بالنهار، مر الليل سريعًا وظهر الخيط الأبيض من الأسود، وتجهز كل فريق لملاقاة الآخر وعندما أضاء النهار أركانها، وأصبح كل فريق مقابل الآخر في سهل اليرموك.

وقبل بدء المعركة قال رجل لخالد بن الوليد -رضي الله عنه-: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!

فقال خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال.

ثم خرج رجل من جيش الروم يدعى جرجة، فنادى ليخرج إلي خالد، فخرج إليه خالد، وأقام أبا عبيدة مكانه، والتقى خالد به بين الصفين، حتى اختلفت أعناق الفرسين.

فقال جرجة: يا خالد اصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل

أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟

قال خالد -رضى الله عنه-: لا.

قال جرجة: فبِمَ سُمِّيت سيف الله؟

قال خالد -رضى الله عنه-: إن الله -عز وجل- بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعًا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين» ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

قال جرجة: صدقتني، ثم أعاد عليه جرجة: يا خالد أخبرني إلامَ تدعوني؟

قال خالد -رضى الله عنه-: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله.

قال جرجة: فمن لم يجبكم؟

قال خالد -رضى الله عنه-: فالجزية ونمنعهم.

قال جرجة: فإن لم يعطها؟

قال خالد -رضى الله عنه-: نؤذنه بحرب ثم نقاتله.

قال جرجة: فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟

قال خالد -رضى الله عنه-: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

ثم أعاد عليه جرجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخر؟

قال خالد: نعم وأفضل.

قال جرجة: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟

قال خالد -رضى الله عنه-: إنا دخلنا في هذا الأمر، وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

قال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟

قال خالد -رضى الله عنه-: بالله لقد صدقتك، وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة وإن الله لولي ما سألت عنه.

فقال جرجة: صدقتني، وقلب الترس ومال مع خالد، وقال علمني الإسلام، فمالَ به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى ركعتين.

وعند هذا الموقف حملت الروم على المسلمين حملة رجل واحد فكاد المسلمون أن ينهزموا، وحميت الحرب وقامت على ساق.

فنادى عكرمة: قاتلت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كل موطن، وأفر منكم اليوم؟! من يبايع على الموت؟ فبايعه أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور، فاستبسلوا وقاتلوا قدام فسطاط خالد، حتى أثبتوا جميعًا جراحًا، وأتى خالد بعكرمة جريحًا فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه، وجعل يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء في حلقيهما، وما لبثا وقتًا حتى استشهدا.

ثم رأيت رجلًا من صفوف المسلمين انطلق كالأسد يحمل سيفين، وكأنه سهم خرج من قوس أو كأنه حجارة من سجيل أطلقت بمنجنيق يسحب طرفه ألف رجل، لا يوقفه شيء، يقاتل عن يمينه وعن يساره، إنني أعلم من هو، أشاهده وأقول البطل يولد رجلًا!

(حضر بذهني عندما كان هذا البطل غلامًا صغيرًا يهرول في وديان مكة شاهرًا سيفه في يده، فيراه كفار قريش فيتعجبوا: الغلام معه السيف! وأثناء تجوال الغلام بسيفه في شوارع مكة إذ برسول الله يراه، فيسأله عن سبب إشهاره للسيف؟

فيقول: يا رسول الله سمعت أن الكفار أخذوك!

فيقول له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: وماذا كنت صانعًا؟

فيقول له: جئت بسيفي لأقتل من أخذك.

ثم كبر الغلام وأصبح رجلًا، وفي غزوة بدر ينزل جبريل والملائكة على صورته تكريمًا له لأنه أول من حمل سيفًا في الإسلام.

أما في غزوة أحد، يتقدم رجل ضخم الجثة وهو حامل لواء الكفار ممتطيًّا جملًا، يطلب من يبارزه من المسلمين فيتقدم له بطلنا هذا، فوثب عليه وجذب الكبش من فوق الجمل ثم جز رأسه.

رجعت مرة أخرى للشام لغزوة اليرموك، وأنا أراه يشق الصفوف شقًّا بسيفيه، حتى أنه اخترق جميع الصفوف وأصبح خلف جيش الروم، ثم يرجع ويعيد الكرة مرة أخرى، ويخترق مئتين وأربعين ألف جندي راجعًا لصفوف المسلمين،

ما أشجعك وما أعظمك يا حواري رسول الله ويا ابن عمته (رضي الله عن الزبير بن العوام)!

ثم تذكرت ما رواه ابنه عروة عنه: قال بعض أصحاب الزبير له باليرموك ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم!

فقالوا: لا نفعل.

فحمل الزبير على الروم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلًا، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة (ولده): كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير.

انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للروم، ونصر مؤزر للمسلمين رافعين ألويتهم البيضاء والسوداء التي تتزين بالشهادة، وما لبث أن انتقل المنظر لهرقل حينما جاءه الخبر، وبلغه أن المسلمين قد بلغوا قنسرين، فخرج يريد القسطنطينية، وصعد على نشز وأشرف على أرض الروم، وقال:

«سلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرجو أن يرجع إليك أبدًا، ثم قال: ويحك ما أنفعك أرضًا، ما أنفعك لعدوك لكثرة ما فيك من العشب والخصب! ثم إنه مضى إلى القسطنطينية».

هنا تمامًا اهتزت الأرض مرة أخرى ثم رجعت لنفس الغرفة وأمامي الكتاب الخشبي، وتلاشت الورقة وأضفت على الساحة بعض الإضاءة، وقلت لنفسي هل المراد من أن تأتي معركة اليرموك بعد ورقة دانيال أنها بدء تحقق ما بها، ظننت حينها أني وصلت لفهم جزء من تسلسل الوريقات، وجلست أخمن يا ترى ما تكون الورقة التالية!

جاء الليل وتعبت لكني في الحقيقة لا أريد أن أتحرك فأنا في شوق لمعرفة ما هي الورقة التالية، وبينما أنا كذلك حتى صرعني النوم، وغفوت وأنا جالس على الكرسي ومتكئ على الكتاب الخشبي بذراعي، ثم استيقظت وفي قلبي حرارة الشوق لمعرفة الصفحة التالية الذي ما أقطع وما برد!

الورقة الرابعة
(أبو الأنبياء)

التاريخ: ٢٦٠٠ قبل الميلاد.

المكان: العراق.

نار عظيمة أضرمت تمتد يمينًا ويسارًا على مد البصر، كأن الأرض كلها سعرت، أو كأنها النار التي ستخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم، ومن شدة حرارتها لا يستطيع أحد أن يقترب منها، جاءت جنود النمرود بفتى تعلوه الهيبة جميل الطلة، ثم وضعوه بالمنجنيق وقذفوه في النار، سبعة أيام والجميع يرى الرجل يُصلي داخل النيران لا النار تؤذيه ولا هو يفتر عن الصلاة!

وبالنهاية خرج الفتى أمام الناس كلها وهو بأحسن حال، والجميع يضرب أخماسًا في أسداس، كيف للنيران ألا تحرق! وكيف يخرج الرجل من وسط هذا اللهيب المستعر، وهو بحال أفضل من حاله قبل أن يقذف بالنيران، طلب النمرود من

زبانيته أن يحضروا له هذا الفتى ليرى ما هو شأنه؟ ولينظر في أمره.

النمرود: من هو ربك؟!

إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ﴾.

النمرود: يا حراس احضروا لي سجينين محكوم عليهما بالإعدام.

الحراس: سمعًا وطاعة أيها الملك!

ولم تكد لحظات تمضي حتى أتوا له بسجينين مكبلين بالحديد.

النمرود: اقتلوا الأول وأطلقوا سراح الثاني! ثم ضحك ضحكة عالية ثم ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ﴾.

إبراهيم: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.

النمرود: بُهت ولم يستطع الرد.

وبعدها رأيت الأحداث تتسارع فأرى مشاهد ولكنها مسرعة جدًّا لا أستطيع أن أصف لكم كل ما رأيت بالتفصيل، ولكن أقوله لكم مجملًا، فقد رأيت إبراهيم -عليه السلام-، ومن آمن معه يهاجرون من شمال العراق إلى أن استقروا بفلسطين، ولم يؤمن معه إلا امرأته سارة وابن أخيه لوط

-عليه السلام-، كانت زوجته سارة لا تنجب، وكان لها جارية أهداها لها ملك مصر عندما ذهبا إبراهيم وسارة إلى مصر، فأرادت سارة أن يتزوج إبراهيم -عليه السلام- من هاجر المصرية، حتى يرزقه الله منها بالولد.

وبالفعل تزوج إبراهيم -عليه السلام- من هاجر المصرية، وبعد زواجها من إبراهيم بفترة من الزمن بشر ملك من الملائكة هاجر المصرية بأنها حامل في ولد وستسميه إسماعيل، وبعد أن انتهت مدة الحمل ولدت هاجر ولدًا وسُموه إسماعيل، وأمر الله -عز وجل- إبراهيم أن يأخذ زوجته هاجر وولده إسماعيل، وينقلهم إلى وادٍ بكبد جزيرة العرب قاحل لا زرع فيه ولا ماء ولا بشر!

وصلوا جميعًا إلى موضع المسجد الحرام بمكة الحالي، وبمجرد وصول إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- إلى هذا الموضع تركهم مع جراب فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم انطلق إبراهيم تلقاء فلسطين، فتبعته زوجته وهي تقول له: يا إبراهيم أين تتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء!

إبراهيم: لا يلتفت لها ولا يرد عليها.

هاجر تكرر نفس الكلام مرارًا، ولكن رد فعل إبراهيم -عليه السلام- كما هو لا يلتفت ولا يرد عليها!

هاجر: آللّه الذي أمرك بهذا؟!

إبراهيم: نعم.

هاجر: إذًا لن يضيعنا!

ثم توقفت عن تعقبه ورجعت حيث ترك التمر والماء، انطلق إبراهيم -عليه السلام- حتى بعد عنهم، وأصبح لا يرونه ولا يراهم، فولى وجهه شطر قواعد المسجد الحرام، ورفع يده للّه -عز وجل- قائلًا: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

أما هاجر فجلست عند التمر والماء وجلست ترضع ابنها إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه وهو يتلوى من العطش، فتركت ولدها كراهية أن تنظر إليه، وقامت لتبحث عن ماء، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فصعدت عليه وجلست تنظر بالوادي الذي خلفه لعلها تجد أحدًا فلم تجد أحدًا! فهبطت من الصفا حتى استوت الأرض، فجلست تهرول هرولة الإنسان المجهد حتى تجاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فصعدت المروة، ونظرت هل ترى أحدًا، فلم ترَ أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

وبعد إتمام السبع أشواط توجهت لولدها، فإذا هي تسمع صوت، وإذ بجبريل -عليه السلام- عند الولد، فضرب جبريل الأرض بقبضته فانفجرت منها الماء، ثم قال جبريل لها: لا تخافوا هذه الصحراء القاحلة الخالية من البشر، فإن ها هنا بيت الله سوف يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله.

ومر وقت يسير إلا وإذ بنفر من جرهم يمرون بجانب الوادي، فوجدوا الطير يحوم في سماء الوادي فقالوا: هذا دليل وجود ماء.

قال بعضهم: نحن نعرف هذا الوادي جيدًا فهو وادٍ قحل لا ماء به!

فأرسلوا أحدهم للوادي ليتأكد هل به ماء أم لا، وما إن وصل حتى وجد الوادي تغمره المياه، فهرول مسرعًا إلى القوم يخبرهم بوجود الماء.

فاستأذن القوم من هاجر أن يسكنوا بهذا الوادي فوافقت بشرط أن يكون الماء لها ولابنها، فقبلوا ذلك، ونشأ وسطهم إسماعيل وتعلم منهم العربية.

وبعدما أصبح إسماعيل قادرًا على تحمل المشقة، أتى إبراهيم -عليه السلام- مكة، ودار هذا الحوار بينه وبين فلذة كبده إسماعيل:

إبراهيم: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.

إسماعيل: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، يا أبتِ ليس لي غير هذا الثوب الأبيض ولا يوجد شيء تكفنني به بعد ذبحي غير هذا الثوب، فسوف أخلعه كي تكفني فيه.

وبينما يسوق إبراهيم ابنه إسماعيل إلى الذبح، ظهر لهما الشيطان ويقول لإبراهيم: أتذبح ابنك فلذة كبدك؟! فرماه إبراهيم بسبع جمرات، وظهر له عند العقبات وهو يرميه عند كل عقبة بسبع جمرات، فلما انتهى إبراهيم إلى جبل المروة وقيد ابنه إسماعيل، وتل ابنه للجبين، نودي من خلفه: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ثم فدى اللّه -عز وجل- إسماعيل بكبش عظيم، وبشر اللّه إبراهيم أن النبوة ستكون في نسله، ولن يخرج نبي إلا من نسله، وأنه سيبارك على إسماعيل، ويجعل من صلب هذا الغلام أمة عظيمة كبيرة مثمرة تملك الأرض.

ومن الفلاة القاحلة الكالحة، إلى أرض الزيتون حيث كان يسكن إبراهيم مع زوجته سارة، وأما لوط كان بسدوم في الأردن، وبينما إبراهيم جالس بخيمته إذ وجد ثلاثة من الرجال لهم هيئة حسنة ويعلوهم الهيبة، وألقوا السلام على إبراهيم، ورد إبراهيم عليهم السلام، واستضافهم وأجلسهم تحت شجرة بجوار الخيمة، وأمر غلامه أن يأتي بعجل ويقوم

بشيه، ولما طاب العجل قدمه لهم ودعاهم كي يأكلوا منه، وفوجئ أنهم لا يأكلون، فخاف منهم وتيقن أنهم ينون له شرًّا لعدم أكلهم من طعامه، ولما رأوا علامات القلق والخوف تظهر على إبراهيم -عليه السلام-، طمأنوه وبشروه بغلام تلده سارة عن قريب، ويكون اسمه إسحاق، وسمعت سارة هذا الكلام وهي في الخيمة فضحكت وضربت وجهها بيدها من المفاجأة، ثم أخبرت الملائكة أن الله أرسلها لتنزل العذاب بأهل سدوم.

إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾!

الملائكة: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

جلس إبراهيم يناجي ربه ويجادله في قوم لوط...

إبراهيم: يا رب عسى أن يكون بقرية لوط خمسون من المؤمنين، أفتهلك القرية ولا تعفي عنها من أجل خمسين من المؤمنين؟!

فأوحى الله له أنه لا يوجد بالقرية خمسون من المؤمنين، فقال إبراهيم: يا رب ربما نقص الخمسون خمسة.

فأوحى الله له أنه لا يوجد بالقرية خمسة وأربعون من المؤمنين، وجلس إبراهيم عليه السلام ينقص خمسة ثم خمسة حتى وصل إلى عشرة، فأوحى الله له لو كان بها عشرة

من المؤمنين لم أهلكهم! ثم أوحى له الله: ﴿يا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾، وأنزل الله العذاب بقوم لوط، وما هي إلا أشهر قليلة وإذ بسارة تضع إسحاق، وأخبر الله إبراهيم أن نسله من إسماعيل وإسحاق سوف يرثا الأرض التي بارك فيها (فلسطين)، وأن هناك علامة على ذلك الوعد الذي وعده الله هو الختان لكل ذكر، وأن من لا يختن يكون نقض العهد.

نرجع مرة أخرى إلى تلك الصحراء القاحلة الكالحة، وإذا بإسماعيل قد شب وكبر، وقد كان بارعًا في الرمي بالقوس، وأعجب به أهل جرهم وزوجوه منهم، وبعد زواجه ماتت أمه هاجر، ثم أتى إليه أبوه إبراهيم، وقاما ببناء بيت الله الحرام على قواعده التي بناها آدم من قبل، ودعا الله بأن يرزقهم الذرية الصالحة، وأن يبعث في هذه الذرية رسولًا منهم يتلوا عليهم الآيات ويعلمهم الكتاب والحكمة، وهكذا وتحققت نبوءة جبريل لهاجر.

وبعد هذا تغير المنظر حولي ورجعت لنفس البيت والورقة تختفي من يدي وتتحول إلى ضياء انتشر في البيت، وما هي إلا لحظات حتى تجمع الضوء وكون عبارة لامعة تتلألأ في سقف هذا البيت نصها (النبوءة)، أصبت بالحيرة وجلست أتدبر لمَ كونت الورقة الرابعة بضوئها كلمة النبوءة؟ وما علاقة الورقَة الخاصة بقصة هرقل ومعركة اليرموك وهزيمة الروم بورقة

إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام-؟ نعم، تذكرت الختان عندما قال هرقل ملك الختان!

جلست أرتب أفكاري وأدونها، فلربما أستطيع الوصول لفهم ترتيب هذه الورقات وأفهم القصد منها!

١. أن الله -عز وجل- جعل النبوة في إبراهيم.

٢. أن هناك نبوءة بنبي عظيم وأمة عظيمة ستخرج من نسل إسماعيل.

٣. علامة هذا العهد والنبوءة والوعد القائم بين الله وإبراهيم ونسله هو الختان.

رجعت منزلي ومددت جسماني علي سريري، وأنا أتفكر في هذه الكلمة (النبوءة)، وحاولت أن أربط ما بين ما حدث مع الكاهن والأمير نور الدين زنكي، وما هو الرابط بين هذه الكلمة وبين دانيال وقصته مع نبوخذ نصر، وما جاء بهزيمة نبي آخر الزمان للمملكة الرابعة!

فما كان مني إلا أن انتفضت وانكببت على الكتب أفتش بها حتى أخرج بمعلومات توضح لي ما المقصود بالنبوءة، وكان نتاج بحثي التالي:

أولًا: نبوءة عن ملك للمسلمين آخر الزمان:

أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الأمة ستمر بخمس مراحل وهي كالتالي:

(النبوة - الخلافة الراشدة - الملك العضوض - ملك جبري - خلافة على منهاج النبوة)، كما ورد في الحديث المروي عن حذيفة بن اليمان في الصحيح: (قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًّا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت).

١. أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- والحديث بصحيح مسلم عن أبي هريرة قال: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء).

٢. ما روي عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- حيث قال: (يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم؛ يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مد، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم، يمنعون ذاك قال: ثم أمسك هنيهة، ثم قال: قال

رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: يكون في آخر أمتي خليفة يحثو المال حثوًا لا يعده عدًّا).

٣. وما روي عن جابر بن عبد الله يفسر ما روي عن أبي هريرة بصحيح مسلم: (منعت العراق قفيزها ودرهمها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر أردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم). ويقول أبو هريرة بالنهاية: شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه.

٤. إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- لنا والكلام بالبخاري أن المسيح ابن مريم ينزل فينا آخر الزمان وإمامنا منا! فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟)

اتضح لي أن هناك مراحل لا بد للأمة أن تمر بها حتى تصل لمرحلة الغربة، أي أن كل إنسان يكون غريبًا إذا ما استمسك بدينه يصبح كأنه ماسك على الجمر، يزامن ذلك أن تكون أرض العراق مسيطر عليها من قبل العجم، وأرض الشام مسيطر عليها من قبل الروم، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوتي مجامع الكلم، كان هناك بُدًّا من الرجوع إلى قواميس اللغة العربية لنفهم ما الفرق بين الروم والعجم!

فاتضح لي أن العجم هم فارس، والروم هو نسل الروم بن العيص بن إسحاق، فالألفاظ إشارتها واضحة بينة جلية، كانت المعضلة لي ماذا بشأن مصر بعد أن اتضح لي أن العراق متعلق أمرها بفارس (إيران)، وأن الشام متعلق أمرها ب (الروم) وهم ذاتهم بنو الأصفر، والذي كانت بحوزتهم الإمبراطورية البيزنطية الشرقية، بعد هذا ومع غربة الإسلام يظهر الإمام أو الخليفة الذي يُصلي خلفه النبي عيسى بن مريم -صلى الله عليه وسلم-.

ثانيًا: نبوءة المسيا:

١. بالنسبة لليهود هو ملكهم ومخلصهم الذي سيقيم دولة إسرائيل العظمى، ويرجع لهم مجدهم الدنيوي، ولأنهم قوم مغضوب عليهم لمعرفتهم الحق وعدم اتباعه، كان نتاج ذلك أنهم سيتبعون الدجال على أنه ملكهم المخلص آخر الزمان، والذي تحدث الكاهن أنه سيجمع فلولهم (وهو بالحقيقة سيكون الدجال نفسه).

٢. بالنسبة للنصارى هو المسيح عيسى بن مريم، الذي في زعمهم أنه صلب وقتل على الصليب من أجل تكفير خطيئة البشرية التي ورثوها عن آدم بسبب أكله من التفاحة ومخالفة أمر الرب، فحمل جميع بني آدم خطيئته، وكان لا بد في حد زعمهم أن يصلب ابن الإله من أجل أن يغفر لهم الرب، ولا أدري كيف استساغ

عقلهم أن الرب قتل ابنه من أجل تكفير خطيئة آدم؟! الذي حملها أبناؤه الذين لم يقترفوها من الأصل! على الرغم أن كتابهم نفسه يقول لا يُقتل الآباء عن الأبناء، ولا يُقتل الأبناء عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يُقتل!

٣. بالنسبة للمسلمين يعتقدون أن المسيا هذا ليس بأي حال غير النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأن التوراة والإنجيل والزبور قد وردت فيهم صفة ونعته بخبر يقيني مستمد من كلام الله -عز وجل-: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وقوله -جل في علاه-: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

٤. وبعد أن دونت ملاحظاتي، أخذ مني النوم مأخذه، ولما أتى الصباح وأشرقت الشمس، كنت مستعدًا أن أعيش صفحة أخرى مع هذا الكتاب، وما كان مني إلا أن انطلقت إلى مكان الكتاب ليكون لي موعد مع صفحة جديدة.

الورقة الخامسة
(أشعياء)

الزمن: القرن السابع قبل الميلاد.

المكان: فلسطين.

الورقة عليها رسمة نخيل وجبال، وحينما أمسكتها فرأيت رجلًا يمسك عصاة كالتي يرعى بها الرعاة الغنم، واقفًا في شموخ يخطب في الناس، والناس مدلهمة حوله في جمع كبير يسألونه وهو يجيب.

قال أحدهم: يا نبي اللّه أشعياء حدثنا عن نبي آخر الزمان!

أشعياء: هو داعٍ إلى اللّه يخرجه اللّه من أرض المشرق، فيسحق الملوك وينهي عبادة المنحوتات، ويكون قومه عباد للأصنام والأوثان.

سأل رجل آخر: يا نبي اللّه وأين هي أرض المشرق؟

قال أشعياء: أولم تقرأ في التوراة أن أرض المشرق هي الأرض التي سكنها إسماعيل ابن خليل الله إبراهيم، أرض المشرق هي تلك الأرض التي سكنها إسماعيل وأمه هاجر ونسله، التي بها البئر وبها جبل فاران الذي سينزل عليه آخر الكتب على النبي الأعظم.

سأل رجل آخر: يا نبي الله وهل تظهر دعوته في جبال فاران وتستمر بها؟

أشعياء: بل إن قومه يطردونه، فيهاجر إلى أرض تيماء في جزيرة العرب ينصره هناك رجال، ويحاربون قومه وينتصرون عليهم بعد هجرته بسنه!

آخر يسأل: يا نبي الله وهل الكتاب الذي ينزل عليه ينزل كألواح موسى؟

أشعياء: بل ينزل الكتاب عليه جزءًا جزءًا، وبلسان آخر غير لسان بني إسرائيل، ينزل الكتاب بصدره، فهو كتاب يدفع له، ويقال له: اقرأ! فيقول: لا أستطيع القراءة، وكما قال موسى في التوراة أن الرب يقيم لبني إسرائيل نبيًّا مثل موسى من وسط إخوتهم من بني قيدار بن إسماعيل، فيجعل كلام الله في فم ذلك النبي، فيوصي الناس باسم الله، ويكون لهم مرهبًا ومرغبًا وبشيرًا ونذيرًا.

آخر يسأل: يا نبي الله هل لقومه علامات؟

أشعياء: لقومه ثلاث علامات فاحفظوهم، أنهم يلعنون اليهود، وأن من يسميهم الله، وأنهم لا يحلفون ولا يتبركون إلا بالله.

آخر يسأل: يا نبي الله أَوَ يُلعن اليهود، ألن نتبعه؟!

أشعياء: هيييه إن اليهود سيغيرون ويبدلون، فعندما يرفضون المسيح ويكذبونه وهو آخر الأنبياء في بني إسرائيل، سيرفعه الله إليه، وسيكون بالسماء الأولى وينزل آخر الزمان فينصر بالأمة التي كذب من أجلها، أما اليهود فلن يتبع منهم النبي الخاتم إلا القليل القليل، وسيكون هناك موعد بالنهاية بين أتباع ذلك النبي وبين اليهود حينما يحل الوعد الثاني بوادي يزرعيل حيث تكون النهاية الساحقة الماحقة لهم، قبيل خروج الدجال الذي يجمع فلولهم.

آخر يسأل: يا نبي الله ألا ذكرت لنا علامة من عبادة أتباع نبي آخر الزمان؟

أشعياء: بلى، عبادة لا يقوم بها إلا هم، ولا يقوم بها غيرهم فإنهم يأتون من جميع الأرض من كل حدب وصوب، يزحفون إلى الديار التي سكنها أبناء إسماعيل، فيهتفون إلى الله ويسبحونه ويعظمونه من رؤوس الجبال.

آخر يسأل: يا نبي الله أعطنا لهذا النبي علامة فارقة!

أشعياء: علامته أن خاتم النبوة بين كتفيه.

آخر يسأل: من الملك الذي ينزل عليه بالوحي؟

أشعياء: جبريل هو من ينزل عليه بالوحي، ولا يقبض الله هذا النبي إلا بعد أن يقيم الملة العوجاء، ويمحق عبادة الأوثان، ويشهد الناس أن لا إله إلا الله.

آخر يسأل: يا نبي الله وماذا عن المسيح الذي يكون آخر الأنبياء فينا؟

أشعياء: سيكون هذا النبي بلا أب، يولد من عذراء دون أن يمسها الرجال، بمعجزة إلهية، ويجري الله على يديه المعجزات العظام، وبعد أن يؤمن به اليهود ويسلموا لله، يكفرون به لكشفه سرًا عملوا جاهدين على إخفائه، فيحيكون له المؤامرات ويريدون قتله، ولكن ينجيه الله بلطفه من بين براثنهم، ويرفعه إليه، ثم ينزل آخر الزمان، فينصر بأمة نبي آخر الزمان، ويقتل الدجال، وينصره الله على قوم يأجوج ومأجوج، ثم تتغير الأرض حينها وتخرج بركاتها وكنوزها، وسوف يأكل الأسد التبن، ويرعى الذئب الغنم، وسوف تخرج الأرض ثمارًا حينما تزرع بالحجم الذي كانت تخرجه أيام أبيكم آدم، فيستظل الرهط من القوم بقشرة الرمان.

آخر يسأل: يا نبي الله هل تقصد من يأجوج ومأجوج تلك القبائل التي تعيث بالأرض الفساد، وتسفك الدماء في مشرق الأرض؟

أشعياء: نعم، ولكن في ذلك الزمان ستكون خلف السد، لأنه سيأتي من بعدي من يعطيه الله من الأسباب ما تمكن له في الأرض ويعينه الله على حبسهم خلف سد، فيتكاثرون ويصبحون ضعف الآخرين ألف مرة، ثم يكون خروجهم لموعد في علم الله لن يخلف.

يقول آخر: يا نبي الله هل في التوراة ذكر لنبي آخر الزمان؟

أشعياء: نعم، بالتأكيد ففي التوراة وقصة موسى أشياء كثيرة عنه، فيذكر موسى أن النبي يولد بجبال فاران، ويقول موسى أن كتاب الله الأخير ينزل على جبال فاران، ويخبر موسى أن هذا النبي يكون مثله يتزوج وينجب ويكذبه قومه ثم يؤمنوا به، ثم يهاجر، ويقاتل ويحمل السيف، ويموت لا يُقتل، كما أن التوراة تقول بأن الذي يكون له الملك والصولجان والنبوة لا يأتي حتى ينقطع نسل النبوة من بني إسرائيل.

يسأل آخر: يا نبي الله كيف تكون أمة محمد قبل نزول المسيح؟

أشعياء: يكون ظلم عظيم في أهل الأرض، ويكون...

فجأة قطعت الزلزلة التي حدثت بالمكان الحوار المدهش الذي كنت أسمعه، والذي كنت مستمتعًا به أيما إمتاع، إذ بي أرجع مرة أخرى لساحة البيت المهجور، وها قد تلاشت الورقة

وأضاءت الساحة حتى أصبح البيت أكثر إضاءة من ذي قبل، ودون تردد بسطت يدي لأمسك الورقة التالية ولدي في ذهني توقع عن الورقة التالية.

الورقة السادسة

(خاتم النبوة)

الزمن: قبل البعثة بثمان وثلاثين سنة.

المكان: اليمن.

ها هي قافلة من الإبل يسوقها مجموعة من العرب، انتهت توًّا من شق الصحراء، فملابسهم يُرى عليهم أثر السفر والغبار، ثم يمر أحد يختلف سمته وشكله عن أصحاب القافلة، فيقول شيخ كبير في القافلة: يا أخا العرب دلنا على قصر الملك سيف بن ذي يزن، فقال العربي: أبشر حللت أهلًا ونزلت بأرض اليمن سهلًا، قاده الدليل إلى قصر الملك، وقال: هذا هو القصر، وعندما أراد الشيخ أن يخرج له بعض الدراهم ليعطيه أجره، قال الدليل: كيف هذا وأنت ضيفنا إنها لمعرة أن نأخذ الأجر في إكرام الضيف، ابتسم الشيخ ثم كلم حراس القصر: أيها الحراس نحن قوم جئنا من مكة نريد مقابلة الملك سيف بن ذي يزن فنبارك له نصره وثبوت أركان ملكه، رد عليه الحارس: مرحبًا بك! شيخ كريم وضيف كريم،

ولكن من أنت حتى نستأذن لك؟ قال له الشيخ: أخبره أني عبد المطلب بن هاشم.

دخل الحراس فاستأذنوا الملك، فقال لهم الملك ضيفوهم وأكرموا نزلهم فهم من كرام العرب، وأعلاهم قدرًا، فليستريحوا من تعب السفر ثم نتقابل من الغد -إن شاء الله، فذهبوا إلى عبد المطلب ومن معه، وقالوا له إن الملك يرحب بكم، ولقد وصانا عليكم ورفع من شأنكم، ودلوهم على الغرف التي سوف يقضوا فيها ليلتهم.

مضى الليل وأذهب ضوء النهار ظلامه، وأرسل الملك إلى ضيفه كي يحضروا إليه، فحضر القوم إلى الملك وتقدم عبد المطلب، وقال له: عمت صباحًا أيها الملك!

الملك سيف بن ذي يزن: مرحبًا بك يا عبد المطلب وبمن معك من أشراف قريش!

عبد المطلب: جئنا إليك نبارك لك انتصارك على مسروق بن أبرهة الحبشي، فأنت تعلم أن لنا مع أبيه قصة.

الملك: ابتسم وقال تقصد حادثة الفيل وهدم البيت.

عبد المطلب: نعم أيها الملك.

أخذ الملك عبد المطلب ليناجيه بعيد عن القوم ووضع يده على كتفه ثم قال:

«يا عبد المطلب إني مفضٍ إليك بسر قد استخرجته من علم تعلمته من الكتب، ولو كان غيرك لم أبح له به، ولكني رأيته يخصك ويخص قومك، فرأيت أنه من الجيد اطلاعك عليه، خاصة وها أنا ذا تراني قد بلغ بي العمر المنتهى، فليكن عندك مخفيًّا حتى يأذن اللّه -عز وجل- فيه إني أجد في الكتب وما حوته، والعلم وما خزن به الذي مَنَّ اللّه علينا بتدارسه وتحصيله، والذي لا يعلم مثله على بساطها إلا القليل خبرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة للناس عامة، ولرهطك كافة، وربما يكون لك خاصة».

فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سره محفوظ لا يخرج -إن شاء اللّه-، فما هو؟

قال الملك: إنه جاء بالكتب أنه يولد في وادي بكة بجوار جبال فاران ولد يكون بين كتفيه شامة هي له علامة ودلالة، سيكون له حتمًّا الإمامة على إنسها وجنها، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب: أيها الملك لقد قلت لي خبرًا ما قال لي أحد يومًا ما مثله، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه، لاستفسرت منه عن ذلك أيما استفسار، فإن فضولي يدفعني إلى الاستزادة.

قال له الملك: هذا زمنه الذي يولد فيه، أو ربما يكون قد ولد! اسمه محمد.

قال عبد المطلب مقاطعًا: أيها الملك إنه ولدي وعمره الآن عامان.

قال الملك: يا عبد المطلب ما ينبغي لأبيه أن يكون حيًّا، فهو يولد وأبوه بين الأموات، وما يلبث إلا قليلًا، ثم تموت أمه ويكفله جده وعمه، فيُوحي اللّه إليه فيسر دعوته إسرارًا، ثم إن اللّه باعثه جهارًا، وجاعل له منا أنصارًا، يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم أهل الأرض ليعبدون الرحمن، ويدحر الشيطان، ويخمد النيران، ويكسر الأوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، ويأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

قال له عبد المطلب: عز جدك، ودام ملكك، وعلا كعبك، فأنا جده!

قال له الملك سيف بن ذي يزن: ورب البيت ذي الحجب، ورب العلامات على النقب، أإنك لجده يا عبد المطلب، غير ذي كذب؟

فخر عبد المطلب ساجدًا له.

فقال له الملك: ارفع رأسك ثَلُجَ صدرك، وعلا كعبك، فهل ذكرت لي القصة؟

قال: نعم، أيها الملك، إنه كان لي ابن، وكنت به معجبًا، وعليه رفيقًا، وإني زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام فسميته محمدًا، مات أبوه، وكفلته أنا وعمه.

قال له الملك: إن الذي قلت لك كما قلت، فاحفظه، واحذر عليه من اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل اللّٰه لهم عليه سبيلًا، واطوِ ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمَن أن تداخلهم النفاسة من أن تكون لكم الرئاسة فينصبون له الحبائل، ويبغون له الغوائل، وإنهم فاعلون ذلك، أو أبناؤهم غير شك، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير يثرب دار ملكي، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره، ولولا أني أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنه أمره، ولأوطأت على أسنان العرب كعبه، ولكن سأصرف ذلك إليك، عن غير تقصير بمن معك، ثم دعا بالقوم، فأمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد سود، وعشر إماء سود، وحلتين من حلل البرود، وخمسة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضة، ومائة من الإبل، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك.

اختفت الورقة ورجعت لمكاني وكل ما يدور بفكري حينها قصة سلمان الفارسي -رضي اللّٰه عنه-، حيث قال كنت رجلًا

فارسيًّا من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها: جَيٌّ، وكان أبي دِهْقَانَ قريته، وكنت أحب خلق اللّٰه إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضَيْعَةٌ عظيمة، قال: فشغل في بنيان له يومًا.

فقال لي: يا بُنَيّ، إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فَاطّلِعْها! وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا واللّٰه خير من الذي نحن عليه، فواللّٰه ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟

قالوا: بالشام.

ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته...

قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟

قلت: يا أبتِ، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فواللّٰه ما زلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه.

قلت: كلا، والله إنه لخير من ديننا.

قال: فخافني فجعل في رجلي قيدًا ثم حبسني في بيته.

وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجارًا من النصارى، فأخبروني بهم، فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بقدوم تجار، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم.

فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟

قالوا: الأُسْقُفُّ في الكنيسة.

فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك.

قال: فادخل!

فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئًا اكتنزه لنفسه، ولم يعطه

المساكين حتى جمع سبع قِلال من ذهب، وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع.

قال: ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعطِ المساكين منها شيئًا، قالوا: وما علمك بذلك؟ قلت: أنا أدلكم على كنزه.

قالوا: فدلنا عليه!

قال: فأريتهم موضعه، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا، فلما رأوها قالوا: واللّٰه لا ندفنه أبدًا، قال: فصلبوه ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلًا يصلي الخمس أرَى أنه أفضل منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه، فأحببته حبًّا لم أحبه من قبله، فأقمت معه زمانًا، ثم حضرته الوفاة.

قلت له: يا فلان، إني كنت معك فأحببتك حبًّا لم أحبه أحدًا من قبلك، وقد حضرتك الوفاة، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟

قال: أي بني، واللّٰه ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلًا بالموصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فَالْحَقْ به!

قال: فلما مات وغَيّبَ لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره.

فقال لي: أقم عندي! قال: فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني باللحاق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلم رجلًا على مثل ما كنا عليه إلا رجلًا بنَصِيبِينَ وهو فلان، فَالْحَقْ به!

قال: فلما مات وغَيّب، لحقت بصاحب نصيبين، فجئت فأخبرته بما جرى وما أمرني به صاحبي.

قال: فأقم عندي! فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان، إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلًا بعَمُّورِيّةَ، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فَأْتِهِ؛ فإنه على مثل أمرنا.

قال: فلما مات وغَيّبَ لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري.

فقال: أقم عندي! فأقمت عند رجل على هدي أصحابه وأمرهم، وكنت اكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة.

قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حَرّتَيْنِ بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فَافْعَلْ.

قال: ثم مات وغَيّبَ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجار، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني لرجلٍ من يهود، فكنت عنده ورأيت النخل، ورجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يَحِقْ لي

في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها، وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِّ، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس نخلة لسيدي، أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه.

فقال فلان: قاتلَ اللهُ بني قَيْلَة! والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي.

قال: فلما سمعتها أخذتني العُرَواء حتى ظننت أني ساقط على سيدي، ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عملك!

قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال، وقد كان شيء عندي قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته إليه، فقال رسول الله لأصحابه: «كلوا»، وأمسك يده هو فلم يأكل.

فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا، وتحوّل رسول الله إلى المدينة، ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله منها وأمر أصحابه فأكلوا معه.

قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، قال: ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة من أصحابه عليه شَمْلَتان وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله استدبرته، عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رِداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أُقَبِّله وأبكي.

فقال رسول الله: «تَحَوَّلْ!»

فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله أن يَسْمَعَ ذلك أصحابُه.

أصبحت الرؤيا تتجلى أكثر وأكثر الآن، وسريعًا مسكت صفحة أخرى.

الورقة السابعة

(بنو إسرائيل)

التاريخ: ٢٥٠٠ قبل الميلاد.

الموقع: فلسطين.

قبر قد حُفر وبجواره نبيان يبكيان يقومان بدفن أبيهما، فقد مات أبو الأنبياء -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام-، ودفنه ابناه، ثم ارتحل كل منهما إلى مكانه، ومضت المشاهد سريعة، فأنا ذا سوف أصف لكم ما رأيت، سكن إسماعيل مكة هو وأولاده الاثنا عشر وبنته الوحيدة نسمة، وسكن فلسطين إسحاق وولداه التوأمان العيص ويعقوب.

ومضت الأيام والشهور السنوات وكان نسل إسماعيل هو العرب، وتزوج العيص من نسمة بنت إسماعيل وأنجب الروم، وأنجب يعقوب بني إسرائيل!

انتقل يعقوب -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- من فلسطين إلى مصر وجاءت يعقوب سكرات الموت، فجمع أولاده وبدأ يتحدث معهم.

يعقوب: يا أبنائي ستكون فيكم النبوة ما شاء الله لها أن تكون، ثم ينزع الله منكم هذه الخيرية وتنقطع النبوة منكم، وآخر نبي فيكم هو المسيح، وبعده يأتي النبي الأعظم من نسل عمكم إسماعيل!

يعقوب: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾.

أبناءه: ﴿نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

ثم مات يعقوب -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- ودفنه أبناؤه.

ينتقل المنظر سريعًا إلى نهر لا ماء فيه على ضفته قصر مشيد وجوارٍ يتبخترن في دهاليز القصر، يقترب المنظر أكثر فأكثر، وإذا ملك جالس على عرشه، حوله أكابر مملكته، ويتحاورون معه عن جفاف النهر.

فقال القوم: أيها الملك العظيم فرعون ها أنت ترى جفاف النيل، فقد هلكت المحاصيل وماتت البهائم، ونخشى على أنفسنا وأطفالنا من الهلاك.

فرعون: وماذا تريدون أن أصنع لكم؟

فقال القوم: أجر لنا النيل وإلا اتخذنا إلهًا غيرك؟

فقال لهم فرعون: اخرجوا وأنا سوف أجريه لكم!

فخرجوا...

فتنحى عنهم حيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه، فألصق خده بالأرض وأشار بالسبابة نحو السماء وقال: اللهم إني خرجت إليك خروج العبد الذليل إلى سيده، وإني أعلم أنك تعلم أنه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك فأجره!

وما مضت إلا لحظات حتى سمع صوت جريان النيل، وكان صوت خرير الماء وكأنه الرعد، وحينما حدث ذاك جاءهم فرعون وقال لهم: إني قد أجريت لكم النيل!

فخروا له سجدًا يعبدونه من دون الله، ثم خرج القوم يهللون بقوة فرعون، وما إن خرجوا إلا وجاء رجل لفرعون وأذن له فرعون في الدخول فقال له: أيها الملك أعني على عبد لي!

قال فرعون: فما قصته؟

قال الرجل: إن لي عبدًا ملكته على عبيدي، وخولته مفاتيحي، فعاداني وأحب من عاداني، وعادى من أحببت.

قال فرعون: بئس العبد عبدك لو كان لي عليه سبيل لأغرقته في بحر القلزم.

قال له الرجل: أيها الملك اكتب لي بذلك كتابًا، فدعا بكتاب ودواة، فكتب ما جزاء العبد الذي يخالف سيده، فأحب من عادى وعادى من أحب إلا أن يغرق في بحر القلزم.

قال الرجل: أيها الملك اختمه لي!

فختمه فرعون ثم دفعه إليه فأخذ الرجل الكتاب وانصرف.

مرت مشاهد أخرى سريعة، لم أستطع أن أحفظ منها شيئًا حتى استقر المنظر على فرعون وهو على عرشه يصرخ في الملأ الذي حوله بغضب شديد، قائلًا لهم: أرى أحلامًا مفزعة تطاردني نائمًا ويقظانًا!

الملأ: وماذا ترى أيها الملك العظيم فرعون؟

فرعون: أرى وأنا نائم رجل يدخل عليّ قصري وبيده عصا فيضربني على رأسي، ثم أرى الأرض قد انشقت وابتلعتني في جوفها، ويا ليت الأمر وقف على هذا، فعندما أستيقظ أسمع هاتفًا في أذني قائلًا: (قرب زوال ملكك على يد فتى من إسرائيل).

الملأ: أيها الملك العظيم فرعون لا نعلم عن تأويل الرؤيا، ولكن اسمح لنا أن نأتيك بالمعبرين!

وما لبثوا إلا قليلًا حتى حضر المعبرون، ثم انحنوا تعظيمًا لفرعون، ثم قالوا: ما هي الرؤيا التي تريد منا تفسيرها أيها الملك؟

فرعون: أرى وأنا نائم رجل يدخل علي قصري وبيده عصا فيضربني على رأسي، ثم أرى الأرض قد انشقت وابتلعتني في

جوفها، وعندما أستيقظ أسمع هاتفًا في أذني قائلًا: (قرب زوال ملكك على يد فتى من إسرائيل).

المعبرون: هذا يعني أن هلاكك ونهاية ملكك على يد فتى من بني إسرائيل.

عظم غضب فرعون أيكون هلاك ملكي وأنا إلهكم على يد واحد من هؤلاء العبيد، سوف أريكم ما أصنع فيهم، أصدر فرعون القرار بقتل كل مولود ذكر في بني إسرائيل.

فقال الملأ: أيها الملك الحكيم إن فعلت هذا لن يصبح لنا عبيد، ولن نجد من يقوم بخدمتنا ونطرح عليك مشورة ولكم القرار.

فرعون: وما هي مشورتكم؟

الملأ: نرى أن يقتل في عام كل من يولد من بني إسرائيل من الذكور، وأن يكون العام التالي عفوًا عامًّا عن كل المولودين من الذكور.

فرعون فهز رأسه اقتناعًا بما قيل له، فأشار لهامان أن نفذ هذا الرأي.

ثم مرت أحداث سريعة وشاء الله أن ينجب عمران ولدًا في عام العفو سماه هارون، ثم شاء الله ملك الملوك أن يكون مولد موسى في العام الذي يقتل فيه الذكور، حتى يعلم الناس أن أمر الله نافذ، ولو انقطعت الأسباب وخالفته النواميس.

انتقل المشهد سريعًا حيث صندوق تتقاذفه أمواج النهر حتى أستقر أمام ساحة قصر فرعون المطلة على النهر بجوار الشجرة، فالتقطته آسيا زوجة فرعون ووجدت بالصندوق طفلًا رضيعًا عمره أيام، فحملته إلى فرعون، وقالت أيها الملك لقد وجدت هذا الطفل على شط النهر بجوار القصر.

فرعون: لا بد أنه من أبناء بني إسرائيل، يا حراس تعالوا واقتلوا الطفل!

آسيا: أيها الملك لا أطفال لدينا فعسى أن نتخذه ولدًا، انظر إلى جماله وإلى براءته، نحن سنعتني به وينشأ بقصرك وسيكون ولاؤه لك.

كانت مريم أخت موسى تستقصي أمره وتراقب المشهد، دون أن يشعر بها أحد، أحضرت آسيا المرضعات ليقمن بإرضاع الطفل، ولكن الطفل يأبى أن يرضع من أي واحدة فيهن، تقدمت مريم، وقالت أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له حافظون ناصحون، فطلبت آسيا منها أن تأتي بأمها، وعندما أمسكت الأم الطفل رضع منها، فأوكلت آسيا لأم الطفل رعايته مقابل أجر على ذلك.

مرت لمحات سريعة رأيت فيها الطفل يكبر ويترعرع ما بين بلاط قصر فرعون وبيت عمران، وظل واقع بني إسرائيل كما هو يتجرعون الذل والهوان على يد فرعون وجنده، وكل ما كان

يتردد على ألسنتهم هو نبوءة عن رجل يخلص شعب اللّه من بطش فرعون، ويخرجهم من أرض مصر إلى أرض فلسطين.

وذات مرة كان موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- يمشي على حين غفلة من أهل مصر، وإذا برجلين يتصارعان أحدهما من بني إسرائيل والآخر مصري، فاستغاثه الذي من قومه واستنجد به لينقذه من المصري، فضربه موسى بقبضة يده في ذقنه فأرداه قتيلًا.

وفي صباح اليوم التالي يجد موسى نفس الرجل يتقاتل مع مصري آخر، وعندما رأى الرجل الذي من بني إسرائيل موسى، صرخ يا موسى أغثني من ذلك المصري، فتوجه موسى باتجاهه وهو غضبان، ويقول له إنك لغوي مبين، وتوجه موسى مسرعًا كي ينقذ الرجل للمرة الثانية، فظن الرجل أن موسى متوجه كي يضربه هو، فقال له: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس؟ فترك المصري الرجل وانطلق يصيح أن موسى هو الذي قتل المصري بالأمس، حتى ذاع الخبر وانتشر، ووصل إلى قصر فرعون، والذي أمر باجتماع طارئ مع ملأه ليدرس الأمر، والذي كان الإجماع فيه على قتل موسى، أخذ الخبر أحد الرجال وطار به إلى موسى، ونصحه بالخروج من مصر، لأن القوم أصدروا الأمر بقتله.

دفع الخوف موسى إلى الخروج من مصر وهو مترقب، تاركًا خلفه أرض الأنهار والحدائق والخضار ولاذ باللّه أولًا،

ثم جزيرة العرب، حيث اختار منها أرض مدين، وما إن وصلها موسى فوجد جمعًا كثيرًا من الناس يسقون أغنامهم وإبلهم الماء، وبعيد عنهم امرأتان تحاولان أن تحبسا أغنامهما، فتوجه إليهما موسى وسألهما عن أمرهما، فأخبرتاه أنهما لا تستطيعان السقاية إلا إذا انتهى الرجال، ويأتيان هما لأن أباهما شيخ كبير طاعن بالسن، وبدون تردد سقى موسى لهما، ثم تركهما وجلس تحت شجرة يستظل بظلها شارد الذهن متعب الجسم، يحمل الهم والغم، فقير بلا مال، مسافر بلا أنيس، وحيد بلا أهل، غريب بلا منعة، فتوجه ببصره للسماء وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

فكانت استجابة الله -عز وجل- لدعوته فورية، وفوجئ موسى بفتاة تتجه نحوه في حياء جم، وحدثته على استحياء، وأخبرته أن أباها يريد أن يقابلك فيجزيك أجر ما سقيت لنا، فقام موسى وتقدم وقال للفتاة سوف أمشي وتكونين أنتِ خلفي فتعلميني الطريق بحصوات تلقيها لي.

فلما وصل موسى للبيت وقابل الشيخ وقص عليه أمره، قال له الشيخ لا تخف نجوت من القوم الظالمين، وتناجت إحدى الفتاتين مع أبيها، وطلبت منه استئجاره، ودللت على قوته وأمانته بما حدث حين سقايته وحين طلب منها المشي خلفه تدله على البيت.

استكمل الشيخ مع موسى الحديث ثم قال له أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين، فقال موسى: ليس معي ما أتزوج به، قال الشيخ: سيكون المهر أن ترافقني ثمانية أعوام، وإن أتممتها عشرة أعوام فمن عندك.

فوافق موسى على ذلك، وقال له: على ذلك نتفق والله على ما نقول وكيل، ولكن أنا غير ملزم بإتمام العشر سنوات والاتفاق على ثمانية، فأشار الشيخ برأسه أي نعم هو كذلك.

اختفت الصحراء وأحقابها من حولي ثم ظهر العرش وعليه فرعون قائمًا ينظر في كبر لمن حوله (أنا ربكم الأعلى)، تسارعت المشاهد بجمال يحمل الرعب، فرأيت البحر مشقوقًا وبني إسرائيل تعبر من خلاله على طريق يابس وعلى جانبيه سوران من الماء كالجبال، وما إن وصلوا للجهة الأخرى وفرعون وجنده يتبعونهم حتى ضرب البحر بالعصي وانطبق عليهم، وإذ بي أرى عن كثب فرعون وهو يصارع الغرق والموج المتلاطم، يلعب به كدمية، وهو يقول آمنت بأن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فوجدت في فمه وحلًا، وفي يده الكتاب الذي به حكمه مختوم بختمه، ثم غاص إلى قعر البحر.

تلى هذا المشهد نيران قد أضرمت تضيء بقعة من أرض فلاة، وبني إسرائيل مجتمعون حول حلقة ساجدين وفي وسط الحلقة عجل ذهبي، يعبدونه من دون الله، يصدر هذا العجل صوت خوار، ثم فجأة يأتي موسى ومعه سبعون رجلًا، فيرى

قومه سجودًا للعجل، فيتأجج غضب موسى ويلقي ألواحًا ذهبية كانت بيده، ويتجه مسرعًا نحو هارون، فيمسك بشعر رأسه ولحيته ويهزه بقوة، ويقول له: يا هارون ما منعك أن تمنعهم عن شركهم هذا؟

هارون: قال لقد نهيتهم عن هذا وقلت لهم أنكم فتنتم، وأخبرتهم أن ربهم هو اللّه الذي أنجاهم من فرعون وملأه، وكررت عليهم اتبعوني وأطيعوا أمري، ولكن القوم استضعفوني يا موسى، وقالوا أنهم سيظلون عاكفين على عبادة العجل حتى ترجع.

موسى: من الذي صنع لهم العجل؟

هارون: السامري.

فيتجه موسى غضبانًا إلى السامري قائلًا: ويحك يا سامري ماذا فعلت؟

السامري: قد رأيت ما لم يرَه بني إسرائيل حينما فرق البحر، فقد رأيت جبريل على فرسه، فأخذت قبضة من التراب من أثره، وصنعت عجلًا مسبوكًا من حليهم، ثم ألقيت عليه الأثر فأخرج الخوار، وهذا ما سولت لي نفسي.

موسى: اذهب فإن هناك موعدًا لك لن تخلفه، ولولا أن من يقتلك غيري لقتلتك، ولكن نهايتك تكون على يد آخر نبي

من بني إسرائيل، أما العجل الذي أضللت به قومي لأحرقنه ولأنسفنه في البحر نسفًا.

يتغير المشهد وينزل موسى خطيبًا في قومه، ويقول لقومه أيها الناس لقد كلمت ربي توًّا، وقال لي أن هذه آخر مرة سيكلمني، أيها الناس بعد أن طلبتم منكم أن تقاتلوا معي، فقلتم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فقد حكم الله عليكم بأربعين سنة تتيهون في هذه الأرض، وأن فلسطين محرمة عليكم طيلة هذه المدة، يا بني إسرائيل كتب الله لكم أن تفسدوا في الأرض مرتين، وتعلو مع الفساد الثاني في آخر الزمان علوًا فسادًا كبيرًا، يا بني إسرائيل سوف أقول لكم الآن أعظم نبوءة وهي آخر الوصايا التي أمرني الله بتبليغكم إياها، فكونوا لها حافظين محافظين، قال الله: أنه يقيم لكم من بني إسماعيل نبيًّا، ويكون كلام الله في فمه، فيكلمكم بكل ما يوصيه به الله، ويتوعد الذي لا يستجيب لكلامه فهو ينتقم منه.

ينتقل المشهد حيث موسى مسجى على الفراش في آخر لحظات حياته، وحوله بنو إسرائيل وغلامه يوشع بن نون بجواره، فقال له يا يوشع، بعد أن مات أخي ووزيري هارون، أكل المهمة إليك لدخول الأرض المقدسة، وإني أوصيك أن تدفنني بعد رمية بحجر من الأرض المقدسة، ثم شهد لله بالوحدانية وأسلم روحه لله -عز وجل-، فطويت الأرض بهم حتى أصبحوا

بجانب الأرض المقدسة، ثم كفنوه وغسلوه ودفنوه ثم وقفوا وصلوا عليه هناك على رمية بحجر عند الكثيب الأحمر.

تلاشى كل شيء ورجعت لتلك الساحة الفارغة، والطاولة الذي يستقر عليها الكتاب الخشبي، وأنا بداخلي أسئلة صارخة، تتردد في نفسي!

لماذا لم يقم موسى بقتل السامري؟

وهل يا ترى التوراة المحرفة المتواجدة الآن، لو بحثت فيها سأجد شيئًا مما قاله عن ذلك النبي الذي هو بلا شك محمد -صلى الله عليه وسلم-؟

ما المراد من أن العلو الكبير يكون معه إفساد؟

هل الإفساد الأول كان عند دخول نبوخذ نصر القدس واستحلالها؟

هل سأجد أجوبة على هذه الأسئلة في ذلك الكتاب الخشبي أم أن النهاية ستكون كالكثير من الكتب صادمة تنتهي بدون أن تشفي الصدور؟

وماذا عن ورقة الكاهن التي كانت أول ورقة، هل سأجد ما يكملها؟

ماذا عن وادي يزرعيل الذي ذكره أشعياء؟

جلست والأسئلة تعصف برأسي، والحيرة تنتابني، كيف لي أن أفك طلاسم هذا الترتيب الذي بدأ وورقة من الماضي القريب ثم ألقتني التالية إلى ماض سحيق، ما هذه الحيرة تارة بالأمام وتارة بالخلف!

كنت بدأت أتوقع الصفحات التالية لكن الآن بدأت أخبط مرة أخرى، ولم أستقر على طريقة الترتيب، ولكن لا خيار أمامي إلا أن أفتح الورقة التالية.

الورقة الثامنة

(يوشع)

التاريخ: ١٥٠٠ قبل الميلاد.

الموقع: فلسطين.

زوبعة من الرياح تجتاح الصحراء، والغبار يرتفع حتى أن الشمس لا ترى، كان النهار ذا لون أحمر، ووسط هذه الأجواء بالكاد رأيت خيمة، اقتربت رويدًا رويدًا، واخترقت بجسمي جدار الخيمة لأجد نفس الغلام الذي كان بجانب موسى عند موته إلا أنه أصبح رجلًا تقريبًا كان يبدو أنه بالعقد السادس من عمره وحوله نفر من بني إسرائيل يحدثهم، وأول ما سمعته كانت هذه الجملة: «اليوم أتممنا الأربعين سنة غير منقوصة».

وهنا قلت لنفسي ما الحكاية؟ وما المراد؟ لأول مرة أمسك ورقة من هذا الكتاب الخشبي ويتسلسل الزمن بترتيبه، وعلى أي حال يا نفسي دعيني أرَ ما تخبئه هذه الورقة، قطع حبل أفكاري خروج يوشع من الخيمة، وقال صارخًا يا بني إسرائيل

هلم اجتمعوا ها هنا فقد انكشف عقاب الله عنا فقد أكملنا مدة العقاب.

ومع هذه الكلمات سكن الريح، وانكشف الغبار وأصبح الجو صافيًّا، واجتمعت بنو إسرائيل حول يوشع لتسمع منه كلماته.

يوشع: يا بني إسرائيل كشف الله عنكم العقاب الذي كنتم تستحقونه بالتيه في هذه الأرض القاحلة، وليتكم تعلمتم الدرس جيدًا، إن الأمة لا تحتاج رجلًا عظيمًا كي تنتصر، فلقد كان بينكم نبي من العظماء الخمسة، ولكن كان مصيركم الفشل رغم عظم القائد، أيها الناس إن القوة ليست بالبدن، وإنما القوة بالإيمان الذي يكمن في القلب، ولتعلموا أن هذه الدنيا دار اختبار قائمة على حرب بين الحق والباطل، وبين إيمان وكفر، وإذا كانت المعركة بين إيمان خالص وكفر، تغيرت النواميس والقوانين فلا وزن لعدد الباطل مهما كثر، ولا وزن لقوة الباطل مهما ثقل، لأن ساعتها تكون المعركة بين الله من جانب، وبين الكفر من جانب آخر، الشرط يا بني إسرائيل هو تحقيق الإيمان بالله.

يوشع يكمل قائلًا: لعلكم الآن تذكرون قبح ما فعل آباؤكم، فلقد كان حكمة الله عظيمة أن نتيه في هذه الأرض حتى يتبدل ذاك الجيل الخوار، الذي قال لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون.

وفي هذه اللحظة بكت الجموع التي كانت تسمع كلام يوشع وأكمل يوشع كلامه قائلًا:

كفكفوا دموعكم وامسحوها! فلن يصنع البكاء نصرًا، ولن ينفع بكاؤكم كالنساء إذا لم يرَ أعداؤكم بأسكم وتقاتلونهم كالرجال!

فقد أزف الوقت وحان، وإنا لنا مع بني كنعان في فلسطين حرب، نكون على حق، وهم على الباطل وإن الله لناصرنا لا محالة.

سكت يوشع قليلًا ثم نظر للأرض، ثم رفع رأسه للسماء، ثم وجه نظره صوب بني إسرائيل وأكمل كلامه:

يا بني إسرائيل نحن الآن نقاتلهم ونحن أهل حق وهم أهل باطل، ولكن آخر الزمان ينقلب الميزان، تقاتلونهم وهم أهل حق وأنتم أهل باطل!

علامة الدهشة ترتسم على وجوه القوم، ويخرج صوت من بينهم لم أستطع تحديد قائله: كيف هذا يا نبي الله؟

قال لهم: بعد خروج نبي آخر الزمان يكونون له أتباعًا وأنتم لا تتبعونه، فينقلب أهل الحق فتنغمس وجوههم في الباطل، وينتشل الله أهل الباطل ويخرجهم من الظلمات إلى نور الحق، ثم يمضي زمن طويل تكونوا مشردين في الأرض خلاله، فتجتمعون وتقاتلونهم.

ثم سكت قليلًا وأكمل قائلًا: يا بني إسرائيل استعدوا فسوف نتحرك غدًا -إن شاء الله- والهدف دخول الأرض المباركة المقدسة.

دخل الليل وساد السكون أرجاء هذه الصحراء، وأنا أنتظر حتى يخرج النهار فأرى ماذا يصنعون، ثم نظرت للسماء وكان منظر السماء رائعًا، فالنجوم تتلألأ مزينة قبة السماء، وبينما أنا أنظر للنجوم فوجئت بالسماء تتموج كموج البحر والأرض تختفي من تحتي، ورأيت نهرًا ينفجر من وسط السماء، وتلاشى منظر السماء والصحراء لأجد نفسي في وضح النهار أمام نهر الأردن، وأجد جيشًا عظيمًا مجتمعًا له خمس رايات، وفي الجانب المقابل قلة من مقاتلي بني إسرائيل مع يوشع بن نون.

اقتربت إلى جانب بني إسرائيل، وإذا يوشع بن نون يقول لهم:

يا قومي هذا يوم من أيام الله، ليرَ الله منكم ماذا تصنعون، لا يغرنكم تجمع ملوك بني كنعان الخمسة، لا يغرنكم عدتهم وتعدادهم!

احضروا تابوت العهد... (فحمله الجنود، ثم فتحه يوشع ولمس الألواح، وقال): اللهم بحق هذه التوراة التي كتبتها بيدك، وأنزلتها على عبدك موسى، أن تنصر هذه العصابة

المؤمنة، اللهم إن هلكت هذه العصابة فلن تعبد في الأرض، (ثم التفت إلى بني إسرائيل وقال لهم): احملوا التابوت في مقدمة الجيش، واستفتحوا عليهم بكلام الله وخاب كل جبار عنيد.

مع هذه الكلمات الرائعة، تحرك بنو إسرائيل نحو جيش بني كنعان، والتابوت محمولًا في مقدمة الجيش، وعندما قربوا من النهر وقف شلال الماء النازل، وكأنه قد تجمد ويبس النهر وعبر الجيش، وبنو كنعان ينظرون لهذا المنظر المهيب، وكأنهم سيقاتلون الجان، علا الغبار في السماء بعدما اصطكت السيوف، وتقارعت الصوارم، وأزهقت بسمر الحراب النفوس، ومع مضي الوقت وقرب غروب الشمس، كانت الكفة الراجحة في المعركة هي كفة بني إسرائيل، ولكن الحروب قديمًا كما أعلم كانت تنتهي مع غروب الشمس، ويؤجل الاشتباك مرة أخرى لصباح اليوم التالي إن لم ينتصر أحد الطرفين على الأخر، يلفت انتباهي يوشع بن نون وهو شاخص ببصره للسماء، ويصرخ ويقول:

«أيتها الشمس إني مأمور وإنك مأمورة، اللهم أمسكها علي!»

وقفت الشمس ولم تغرب، ومضت سويعات من القتال والشمس ثابتة مكانها لا تتحرك، ثم فتح الله على بني إسرائيل،

فمحقوا الكنعانيين وقتلوا السواد الأعظم من جيشهم، وفر من فر.

فور انتهاء المعركة توجه الجيش إلى بيت المقدس حيث صلوا هناك في المسجد الذي بناه إبراهيم نبي اللّه مع ابنه إسحاق، وبعد انتهاء الصلاة، تبدل المشهد حيث أجد يوشع بن نون، على فراش الموت وحوله بنو إسرائيل، فأوصاهم قائلًا:

يا بني إسرائيل لا تعبدوا إلا اللّه، يا بني إسرائيل حافظوا على تابوت العهد، واتقوا اللّه، يا بني إسرائيل اعلموا أن من علامات نهايتكم أن تتخذوا إلهًا آخر غير اللّه، يا بني إسرائيل اعلموا أن اللّه لم يره أحد قط، وأن اللّه فوق السماء مستوٍ على عرشه، فلا تنخدعوا بأي أحد يأتي ويقول لكم أنا اللّه، وإني محذر لكم من أن تفتنوا وتضلوا، ولكن قدر اللّه نافذ ورفعت الأقلام وجفت الصحف.

ثم مات يوشع بن نون، وقام بنو إسرائيل بتكفينه وتغسيله ثم الصلاة عليه وقاموا بدفنه في أرض كنعان.

تلاشت الورقة من يدي واختفت ورجعت للساحة الفارغة صاحبة الطاولة التي يعلوها الكتاب الخشبي، وهنا راودتني فكره أن أقوم بفتح آخر صفحة، لأعلم ما هي القصة الأخيرة، وأطفئ الأفكار التي تراود عقلي وتتلاعب به، الفكرة فعلًا قد استهوتني، ومددت يدي كي أفعل ذلك، ولكن تراجعت مرة

أخرى، وقلت أخشى أن يختفي الكتاب كله بمجرد الانتهاء منها، ويضيع علي معرفة ما كان موجودًا بالصفحات الأخرى، شعرت أن هذا فعلًا محتمل فضممت يديّ إلى جناحي.

وقلت لنفسي ماذا يعني قوله إن من علامات نهاية بني إسرائيل أنهم سيعبدون أحدًا آخر غير الله؟! هل أجد في الصفحة التالية إجابة له، فمددت يدي أمسك الورقة التالية.

الورقة التاسعة

(التلمود)

التاريخ: ١٠٠٠ قبل الميلاد.

الموقع: فلسطين.

الشمس تغرب والنسور تملأ الأفق، هكذا كان منظر السماء أما على الأرض فالجثث متناثرة، وبينها رؤوس مقطوعة وسيقان وأيادٍ، وبعيدًا هناك قليلًا من الجنود تهرول هاربة، وفي وسط هذا المنظر الدموي رجل ضخم الجثة طويل البنيان، يمسك بيديه حربة مرتكز بها على الأرض وفي أعلى تلك الحربة رأس لقتيل تخرج من فحفها سنان الحربة، والدماء تملأ لحية المقتول، ولسانه متدلٍ من بين شقيه يقطر دمًا، على يد ذلك الرجل الضخم، والرجل ينظر نحو المجموعة الهاربة، ثم يضرب بقبضة يده اليسرى على صدره، ويقول: «هذه بتلك يا بني إسرائيل».

ثم يصرخ: يا جنود خذوا تابوت بني إسرائيل المسحور...

ومن فضولي هرولت باتجاه الزمرة الهاربة لأعلم ما القصة، وعندما لحقتهم، وجدتهم يبكون بكاءً شديدًا وهم يهرولون، وبعد أن خارت قواهم ألقوا بأجسادهم على الأرض، ودارت همهمات بينهم فيقول أحدهم: لن تقم لبني إسرائيل قائمة بعد اليوم.

ويقول آخر: الويل والثبور لنا لقد أخذوا منا تابوت العهد.

ويقول آخر: يا ليتني مت قبل هذا اليوم!

ينجلي المشهد فجأة وأرى مجموعة من الناس تتحدث مع رجل للوهلة الأولى تشعر بعظمته وعلو مكانته، رجل من المجموعة يقول: يا نبي الله صموئيل! ادعُ الله أن يقيم لنا ملكًا فنقاتل في سبيل الله، وننتقم من جالوت الذي أذلنا!

صموئيل قال: أخشى إن كُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا وتفعلوا مثل أجدادكم مع نبي الله موسى، وتقولون اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون!

الملأ: وكيف لا نقاتل وقد أخرجنا من ديارنا وقتل أبناؤنا، وفقدنا تابوت العهد؟!

صموئيل يتركهم ويمضي، ذهب كي يصلي إلى الله، ويتضرع له بالدعاء والعبادة، وبعد وقت رجع لهم ويقول: أيها الناس إن الله قد ملك عليكم طالوت.

الملأ: أولم يجد الله غير طالوت، فنحن علية القوم وأكثرهم مالًا ونفوذًا، وأكثرهم أتباعًا، ونحن أحق بالملك منه، فهو فقير معدم!

صموئيل: يا قوم إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون، فإن الله اصطفاه عليكم، وهو أقواكم جسمًا وأكثركم علمًا، والله حكيم ذو علم، وقد وضع الله لملكه علامة ودلالة، سوف تأتي الملائكة حاملة لتابوت العهد.

بعدما رأى الناس تابوت العهد تحمله الملائكة، ثم وضعته بين أيديهم سلموا بالملك لطالوت، ثم مسح صموئيل بالزيت ملكًا، وأنا أعلم هذه العادة فبني إسرائيل كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت ويسمى الملك ممسوحًا أو مسيحًا.

وبعد مراسم تنصيب طالوت ملكًا، بدأ مباشرة في تجهيز الجيش وإعداده لمقاتلة جالوت ومن معه من بني كنعان، وما إن تجهز الجيش حتى وقف طالوت خاطبًا في جيشه:

إنكم مارون بنهر الأردن وغير مسموح لكم البتة كما أمر الله نبيه صموئيل أن تشربوا من النهر إلا مقدار غرفة باليد، ومن يشرب أكثر من ذلك، فليس منا ويترك الجيش ويرجع.

وعند المرور شرب معظم الجنود من النهر وخالفوا الأمر، وعبر طالوت ومعه مجموعة قليلة، وعندما رأى من تبقى عدد جيش جالوت المهول، ارتعدوا من الخوف فقال شاب فيهم

أشقر مخاطبًا الشعب كله: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللّه».

ترجلت نحو جالوت ذاك الرجل المرعب ورأيت ابتسامته الساخرة من جيش بني إسرائيل، ثم التفت بوجهه دون أن يلتف بجسمه إلى جيشه وقال لهم: «هذه المرة لا أريد أن ينجو أحد، يبدو أننا سنقاتل رجلًا نجا من المعركة السابقة، ولا يحب عائلته، فأتى بها كي نذبحها فأنفجر جيش طالوت بالضحك.

توجهت مرة أخرى لجيش بني إسرائيل ووقفت أمام طالوت الذي كان شاخصًا ببصره إلى السماء ويتمتم بكلمات، وكان بجانبه مباشرة صموئيل، فالتفت صموئيل لمن معه، وقال لهم:

أيها الناس هنا تسقط كل الحسابات، لا يغرنكم كثرتهم ولا جمعهم، ولن تخذلكم قلتكم، فاللّه مولانا ولا مولى لهم، اضربوا أعناقهم باسم اللّه، وإن أفضل القرابين إلى اللّه اليوم دماؤهم.

قال له ذاك الشاب الأشقر حديث السن: يا نبي اللّه، أما أنا فأكفيكم -إن شاء اللّه- جالوت.

قال له صموئيل: ما اسمك؟

قال الشاب: أنا داوود.

قال له صموئيل: وكأني والله يا داوود أرى مصرع جالوت.

ثم التفت صموئيل إلى طالوت وقال له: توكل على الله

فقال طالوت للجنود وهو شاهر سيفه: الله أكبر بسم الله انطلقوا!

التقى الجمعان، كان المشهد أقرب ما يكون من هجوم مجموعة من الأسود تعد على أصابع اليد الواحدة على قطيع من الجاموس الذي لا يحصى عدده، كانت المعركة قائمة على قدم وساق، ولكن كانت هناك معركة أخرى داخل المعركة!

فمنذ بداية المعركة وانطلق داود كطائر كاسر يطارد فريسته، وما إن وجد فريسته إلا أن المنظر غريب، فمقارنة حجم داوود مع حجم جالوت، كمقارنة أسد ضارٍ بفيل أفريقي ضخم، رغم أن الأسد في العادة لا يجرؤ على مهاجمة الفيل الأفريقي الضخم، لأن ما في قلبه من الشجاعة لا يسفعه بأن يخوض معركة من المؤكد أنها انتحار!

-أستغفر الله، لم أُرِدْ أبدًا التقليل من داوود فجسم وحجم داوود طبيعي مثل باقي الجنود، ولكن غير طبيعي في هذه المعركة هو حجم جالوت من جانب، وكذلك حجم طالوت من جانب آخر، حجمهما ضخم جدًّا مقارنة ببقية الجند-

عندما أصبح داوود مقابل جالوت، قام جالوت بإشهار سيفه الذي كان الفرق بينه وبين سيف داوود كالفارق بين

الساطور وسكينة الطعام، ووجه جالوت ضربة قوية جدًّا لداوود، من قوتها وسرعتها تسمع صوت شقها للهواء، فتحرك داوود متحاشيًّا تلك الضربة، فاستقرت بجانب قدم داوود، ومن قوتها غاص نصف السيف في الأرض، ووجه داوود ضربة على يد جالوت فترك جالوت السيف، فتقدم داوود مسرعًا بحيث أنه وضع نفسه حائلًا بين جالوت وسيفه.

عندها تبدلت تلك الابتسامة الساخرة التي كانت على وجه جالوت قبل المعركة لنظرات خوف، الآن هو بدون سلاح والشاب الذي أمامه معه السلاح، حينها رمى داوود السيف ووثب على جالوت بكل قوته، ووجه له ضربات سريعة بقبضة يده حتى خر جسده على الأرض، ويعلوه داوود، فأمسك داوود بحجر كان بقرب رأس جالوت، واستجمع داود قوته، وانهال على وجه جالوت بالحجر في ضربات متتالية حتى شدق وجهه فلم يعد لوجه جالوت ملامح!

فقام وصرخ: «اللّه أكبر مات عدو اللّه»، في الوقت نفسه كانت الغلبة لبني إسرائيل في المحيط، فقد انهزم الكنعانيون نفسيًّا قبل أن ينهزموا فعليًّا برؤيتهم لجثة جالوت.

وفي هذا الوقت أثخن في جيش طالوت فقتل الكثير وفر الباقي، وجاء صموئيل ونظر إليهم وقال: الحمد للّه الذي نصرنا وأعزنا.

ثم قال: اجتمعوا إلي يا بني إسرائيل، هل تعلمون ما اسم هذا الوادي؟

قالوا: نعم، هذا وادي يزرعيل.

قال: نعم، هو كذلك وكما شهد نصركم المبين هنا، سوف يشهد محق من كفر منكم حينما يأتي الوقت الموعود!

قال كلماته ثم التفت ومضى!

تجمع الجنود يحملون جرحاهم ثم توجهوا إلى أورشليم، ومرت أحداث عظيمة، كان أبرزها موت طالوت الذي تلاه اعتلاء داوود لعرش الملك، ورزقه اللّٰه الحكمة والنبوة، سرعان ما تغيرت المشاهد ورأيت داوود يحدث الناس ويعظهم ويقول لهم:

أيها الناس إنكم الآن في رخاء وسعة، وأكثر ما أخشاه عليكم هذه الدنيا، أن تفتح عليكم ولا محيص عن تنافسكم لها فإن الدنيا حلوة خضرة، ولكن تذكروا أن الباقية هي الآخرة، فلا تبيعوا أخراكم بدنياكم، وإني منبئكم اليوم أمورًا عظيمة جسيمه أخبركم بها عن القادم في أيامكم القادمة، فاصغوا واسمعوا واحفظوا ما أقوله لكم جيدًا!

يا بني إسرائيل تكون فيكم الخيرية طالما أطعتم اللّٰه وآمنتم به، وعبدتموه حق العبادة، وأخلصتم له النوايا، واعلموا أن

الله يقيم دولة الكفر إن كانت عادلة، ويمحق دولتكم وأنتم عباده إن كان الظلم هو راية دولتكم.

يا بني إسرائيل إن الخيرية التي رُزِقتموها باقية فيكم بتقوى الله، وإنها لا محالة منزوعة منكم نزع الروح من الجسد، لأنه هكذا كتب في اللوح المحفوظ، إن خير أمة أخرجت للناس هي الأمة التي تتبع نبي آخر الزمان، وإني قائل لكم علامات فاحفظوها ولا تبدلوها وتحرفوها.

- يا قوم يا بني إسرائيل أيها الناس إن النبي الأعظم من نسل إسماعيل.

- يا قوم يا بني إسرائيل أيها الناس إن قبلته تكون البيت الذي بناه أبوكما إبراهيم وعمكم إسماعيل في وادي بكة.

- يا قوم يا بني إسرائيل أيها الناس إنه له صاحب يُلقب بالصديق.

- يا قوم يا بني إسرائيل أيها الناس سيكون نبيًّا مقاتلًا يسحق أعداءه، ويفتح أتباعه مملكة مادي وفارس.

- يا قوم يا بني إسرائيل أيها الناس إن من علاماته أن يتزوج بنت ملك اليهود في أرض تيماء.

- يا قوم يا بني إسرائيل أيها الناس إنه يُحيي حج بيت إبراهيم.

خذوا هذه الكلمة عني واحفظوها جيدًا ولا تنسوها: «الصالحون يرثون الأرض»، لأنه عندما يأتيكم هذا النبي سيخبركم أني قلت لكم أن الأرض يرثها الصالحون.

إذا كنتم أنتم الصالحون الآن فأتباع هذا النبي هم الصالحون آخر الزمان، وإن أردتم أن تكونوا من الصالحين، فلا يسعكم إلا إتباع هذا النبي، وأما من كفر منكم، فسيكون جزاؤه الإبادة في المعركة الخاتمة التي تجمع بين أتباع هذا النبي آخر الزمان وبين من كفر من بني إسرائيل آخر الزمان في وادي يزرعيل.

قال أحد الناس: يا نبي الله ألا يوجد علامة قرب نزوله فنعلمه بها؟

داوود: العلامة موجودة قبل بعثة هذا النبي ونزول الوحي عليه، يخرج آخر نبي من بني إسرائيل، إنه المسيح يولد من عذراء، ولتعلموا جيدًا ولتحفظوا هذا جيدًا أنه لن يصلب، سينجيه الله من كيد الكائدين له، وسيخبر عنه أمورًا عظيمة كما أنه سيخبر عن مقدمه ويبشر به.

أعيدها عليكم مرة أخرى لن يصلب المسيح بل سيرفعه الله إلى السماء، وينزل آخر الزمان حيث تأكل الأسود التبن، ويرعى الذئب الغنم، ويكون أتباعه من أتباع نبي آخر الزمان، ويحدث هذا الأمن بعد قتله للدجال.

أعيدها عليكم مرة ثالثة المسيح لن يصلب وسيرفعه الله إليه، هل وعيتم هذا؟

فقال الجميع بصوت عالٍ: نعم يا نبي الله.

فقال لهم: احفظوا مني هذه الكلمات أيضًا: «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية».

تلاشت الورقة من يدي، وزال من مقل عيني هذا المنظر، ورجعت لنفس الغرفة التي أوسطها الطاولة ويعلوها الكتاب، كالعادة ثم تنتشر الورقة التي كنت أقرأها فتضفي مزيدًا من الإضاءة على تلك الساحة التي لم تعد أصلًا مظلمة، على أي حال رغم أن الترتيب ما زال غير مفهوم إلى حد ما، لكن كان هناك كثير من المعلومات في هذه الورقة، وهناك ربط بينها وبين ما مضى من ورقات.

فمثلًا كان آخر كلامه: «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية» هنا لفظ الحجر هو نفس الرمز الذي جاء بورقة دانيال، فيتضح معنى الجملة أن النبي الذي رفضه بني إسرائيل سيصبح هو رأس الزاوية أي أنه أعظم موضع فيها.

وكذلك تكرر كلمات ورقة أشعياء مع كلام داوود بخصوص نبي آخر الزمان، هناك بعض التكرار، من أن المسيح ينزل ويكفر به بنو إسرائيل ثم يرفع وينزل آخر الزمان.

على أي حال فقد أصبحت الرؤيا تتضح أكثر، وتتناسق مع كل ورقة أقرؤها، وعلى الرغم من فضولي الذي يدفعني كي أعلم ماذا بآخر الكتاب إلا أني أصبر، وأريد بعض الوقت حتى أرتاح من كل هذا الفكر.

المعادلة صعبة بين الفضول والتروي!

لكن أنا ما زلت أملك إربي، ويمكنني التغلب على فضولي وأقرأ القادم، حقيقة لا أعلم كم تستطيع قوتي الصمود أمام فضولي.

على أي حال اختياري حتى الآن أن أقرأ الورقة التالية.

الورقة العاشرة

(يزرعيل)

التاريخ: القرن الثامن قبل الميلاد.

الموقع: فلسطين.

رجل ذو لحية ويتحرك يمينًا ويسارًا وخلفه بيت صغير أحسست من ملامح وجهه أنه مترقب حدثًا ما، توقعت أنه ينتظر مولود خاصة مع صوت صراخ امرأة يخرج من البيت المتواجد خلفه، وبينما أراقبه وهو كذلك إذ سكن الصراخ ولحظات وفتحت سيدة ترتدي البرقع الباب، وتقول: مبارك يا نبي الله هوشع فإنك رزقت بمولد ذكر.

لم انتبه حينها أن هناك مجموعة من الناس كانت متواجدة عن كثب خلفي، انتبهت حينما توجه أولئك النفر تجاه الرجل ليباركوا له على مولوده الجديد، وبعدما انتهت مباركتهم له بأن تقدموا واحدًا تلو الآخر.

فقال أحدهم: يا نبي الله هوشع ماذا ستسمي ابنك؟

فقال هوشع: إن الله قد سماه يزرعيل، حتى لا ينسى بنو إسرائيل أن في وادي يزرعيل يكون هلاكهم.

صمت الناس وعلت وجوههم الخيبة، وأكمل هوشع قائلًا:

إنه كما نصركم الله في هذا الوادي سيكون فيه هلاك لكم، أولهم أوشك، بسبب أنكم تركتم شريعة الله والعمل بها، وبسبب إفسادكم في الأرض، فهذا بعضكم يعبد بعل والأصنام من دون الله، أما الهلاك الأخير فيكون بسبب كفر بني إسرائيل جميعًا.

القوم في صمت...

يتغير المشهد مرة أخرى، وأرى هوشع يتحرك أمام باب بيته مرة أخرى يمينًا ويسارًا، ظننت حينها أن المشهد يتكرر مرة أخرى خاصة مع صوت الصراخ القادم من داخل البيت، ونظرت خلفي فوجدت أيضًا الناس ينتظرون عن كثب، ولكن الفرق الوحيد أن هوشع هذه المرة يتحرك يمينًا ويسارًا وهو ممسك بيده بطفل صغير، يبدو أنها حالة ولادة أخرى.

يسكن صوت المرأة القادم من الداخل، ولحظات وتخرج السيدة التي ترتدي البرقع مرة أخرى وتحدث هوشع قائلة: مبارك يا نبي الله لقد رزقك الله بأنثى!

يتقدم الجمع فيباركه مثل المرة السابقة....

يقول له أحدهم: ماذا تسميها يا نبي الله؟

فقال هوشع: إن الله قد سماها لورحامة (اسم عبري معناه لا رحمة).

ثم أكمل هوشع: لأن الله أخبرني أنه لن يرحم بني إسرائيل وسوف ينزعهم نزعًا.

لم يقل أحد من الحضور أي كلمة ولا تعليق، ثم انصرفوا.

ما هذا؟! أرى مرة ثالثة هوشع يتجول يمينًا وشمالًا وخلفه باب البيت الذي يخرج منه صراخ المرأة والناس ترتقب معه، وبجانب هوشع طفل وطفلة، يبدو أنها حالة ولادة ثالثة، ولكن ماذا سيكون ولدًا أم أنثى! والأهم من ذلك كله يا ترى ماذا سيكون الاسم وما معناه؟!

سكن الصراخ وخرجت نفس السيدة التي ترتدي البرقع، وقالت: مبارك يا نبي الله قد رزقك الله بولد!

وبارك له الحضور كما باركاه في المباركتين السابقتين، وبعد أن انتهوا من المباركة.

سأل أحدهم: يا نبي الله بماذا سمى الله الغلام؟ عسى أن يكون الاسم فأل خير على بني إسرائيل!

هوشع: ومن أين يأتي التفاؤل وبنو إسرائيل غارقين في إفسادهم، إن كان الاسمين السابقين ضربتي سيف، فالاسم

الثالث هو قذفة بمنجنيق، من أين تريدون أن يأتي الخير وبنو إسرائيل مفسدون في الأرض!

الناس في صمت ولا شيء غير الصمت فيسمع...

هوشع مكملًا عندما لم يجد منهم ردًّا: لقد سماه الله لوعمي (كلمة عبرية بمعنى ليسوا شعبي)، فقد قال الله بني إسرائيل ليسوا شعبي، ولذلك أمرني أن أسمي ابني بهذا الاسم حتى تعلموا هذا!

يكمل يوشع: وبسبب إفسادكم هذه المرة وأنتم في ذيل الأمم، سيعاقبكم الله بمن يجوس خلال دياركم ويهدم محرابكم، أما عندما تفسدون في الأرض وتعلون علوًّا كبيرًا، فسيكون هذا الوعد الثاني والأخير، فلا وجود لبني إسرائيل بعدها!

فوجئت باهتزاز ما أرى، ورجوعي مرة أخرى للساحة التي بأوسطها الطاولة والتي فوقها الكتاب، وانتشرت الصفحة كضياء ينير أرجاء الساحة التي أصبحت مضاءة وكأن بداخلها شمس!

هنا رغبتي في فتح آخر ورقة تفاقمت، وأشعر أنني فعلًا لدي رغبة جامحة في أن أقرأها، وأنهي هذا الشعور القاتل بالفضول، خصوصًا بعد أصبح الشغف في ذروته لمعرفة ما نهاية الأمر، ولكن كان ما زال لدي خوف بأني لو قرأت آخر صفحة، ربما يختفي الكتاب كله، ولا أستطيع قراءة الصفحات

التي تجاوزتها، مع هذا الخوف تراجعت لأن هناك مجموعة من الوريقات ليست بقليلة حتى أُضَحِّي بها.

أخذت شهيقًا عميقًا ثم قلت سآخذ الورقة القادمة، على أي حال لا بديل لدي سوى أن تكون التالية.

الورقة الحادية عشرة

(النزع)

التاريخ: بداية القرن الأول الميلادي.

الموقع: فلسطين.

وحينما أمسكت الورقة رأيت نهرًا على شطه شاب يتجول، توجهت نحوه أتأمله كان يلبس ثيابًا بيضاء أشبه ما تكون من الإزار والسروال الباكستاني أو الهندي، وكان يتمتم بكلام، أنا لم أنتبه للكلام بقدر ما كنت أنتبه لوسامته وطول شعره ولحيته، وفجأة قطع هذا التأمل فوج متوجه نحو الشاب، فلما استقروا أمامه.

قالوا: أنت من يُدعى يحيى؟

قال: نعم!

قالوا: نريد أن نسألك عن ثلاثة أشخاص.

قال: فلتسألوا إن علمت أجبتكم، ولكن فلتخبروني من أنتم؟

قالوا: نحن كهنة ولاويين جئنا لك من أورشليم كي نسألك عن ثلاثة أشخاص، وننقل الخبر لمن خلفنا.

قال: نعم، فلتسألوا!

الكهنة: أنت المسيح؟

يحيى: لا لست أنا المسيح!

الكهنة: إذًا هل إيليا هو أنت؟

يحيى: لا لست أنا إيليا!

الكهنة: إذًا ماذا؟ أأنت النبي الذي أخبر به موسى أنه يكون مثله، والذي أخبرت عنه الأنبياء بعد موسى؟

يحيى: لا لست أنا ذلك النبي! (ثم عَقَّبَ): إن هذا النبي لست أهلًا لأن أحل سيور حذائه.

اختفى هذا المشهد وجاء مشهد آخر، حيث رأيت مجموعة من الكهنة مجتمعين، ويتحدثون مع بعضهم البعض، وحينما دنوت منهم سمعتهم يتهامسون:

الآن كل الناس تؤمن أنه المسيح، الذي تحدث عنه السابقون، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا

فهو من مولود لعذراء، تكلم في المهد ونفى عنها تهمة الزنا، يأتي بمعجزات عظام، تذكرون عندما أقام الأموات من القبور!

قال أحدهم: إني أملك كمية حقد تجاهه لا توصف، فنحن كنا إذا أمرنا أحدًا لبى لنا أمرنا، ومن بعد ما جاء هذا وسقطت هيبتنا، لكن هل لدى أحدكم شك به ربما لا يكون المسيح؟

قالوا كلهم مجتمعين: ليس لدينا أدنى شك أنه المسيح!

قال السائل: إذا ما هو اختياركم هل نتبعه؟

قالوا كلهم مجتمعين في آنٍ واحد: لا لن نتبعه، سنعمل على تكذيبه، وحتى لو دفعنا إلى إخبار قيصر، وتقليب الروم عليه.

ابتسم السائل وقال: حقًّا يهود!

وهنا وبعد هذا الكلام شرد ذهني وهم مستمرون بهمسهم، وتذكرت موقفًا مشابهًا تمامًا لما حدث مع النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، حينما هاجر من مكة للمدينة، وأراد يهود المدينة أن يتحققوا منه، فذهب حُيي بن أخطب -زعيم اليهود بالمدينة- مع أخيه أبي ياسر ليتقصى الأمر، والذي نقل لنا هذا الموقف كانت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب -رضي الله عنها- فتقول:

«كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه.

قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب، وعمي أبا ياسر بن أخطب، في الصباح.

قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس.

قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى.

قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم.

قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله!

قال: أتعرفه وتثبته؟

قال: نعم.

قال: فما في نفسك منه؟

قال: عداوته والله ما بقيت!»

نعم فاليهود هم اليهود، يعلمون الحق ولا يتبعونه كبرًا وحسدًا من عند أنفسهم، والذي أتعجب منه أكثر ويجعلني أضرب كفًّا على كف أكثر من موقف حيي بن أخطب السابق، هو ردة فعله عندما أتي به كي تقطع رأسه لخيانته بين يدي رسول الله، فلما نظر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

قال: أما والله ما لُمت نفسي في عدواتك، ولكنه من يخذل الله يُخذل، ومن غالب الله غُلب...

ثم أقبل على الناس.

فقال: أيها الناس! إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر ملحمة كتبها الله على بني إسرائيل...

ثم جلس فضربت عنقه .

عندما يكون الأمر مع اليهود فتوقع من الكبر منتهاه، ومن الخيانة قمتها، ومن الغدر قعره.

استفقت عندما رأيت الكهنة الذين كانوا يتسامرون بصوت منخفض حتى وقفوا أمام رجل يرتدي ملابس لونها أبيض مائل للصفار بعض الشيء، ليس بالطويل ولا بالقصير، ذو لحية طويلة تضرب على صدره لونها بني، وكذلك شعره طويل مرسل يضرب ما بين منكبيه تشعر من شدة لمعانه كأن الماء يسري به، ثم قربت منه وهو يقول لهم: « سأضرب لكم مثلًا».

«كان لملك حديقة غناء، فأجر هذه الحديقة لبعض الفلاحين، واتفق معهم أنه في وقت الحصاد سيرسل أحد حراسة ليأخذ نصيبه من الثمار، ولما حان وقت الحصاد، أرسل الملك بعضًا من عبيده لهؤلاء حراسًا كي يأخذ نصيبه، فما كان من هؤلاء الفلاحين إلا أن تمردوا وقتلوا البعض، ورموا البعض

بالكذب، وجلدوا الباقين، فأرسل لهم الملك حراسًا آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كما فعلوا في السابقين، فقال الملك أرسل لهم قائد حرسي عَلَّهم يهابونه! فلما رأى الفلاحين قائد الحرس، قالوا: هذا إن قتلناه استرحنا، فأخذوا قائد الحراس وأرادوا أن يقتلوه فهرب منهم!

فماذا تظنون أن يفعل بهم الملك بعدما رأى سوء فعلهم؟

فقال الكهنة: من المفترض أن يهلك هؤلاء الفلاحين، ويسلم هذه الحديقة لفلاحين آخرين يعطونه الثمار في وقتها.

قال لهم هنا المسيح: أما قرأتم في الكتب ما قاله داوود بأن (الحجر) الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية، من أراد أن يسقط على هذا الحجر سيتحطم، وإذا سقط هذا الحجر على أحد فسوف يسحقه.

ثم أكمل المسيح: الحق أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره.

حينها ارتسم على وجوه الكهنة الحقد، وتركوه ومشوا وكأنهم فهموا مراده، ثم قال بعضهم: دعونا نمسكه ونقتله!

قال الآخرون: وكيف نمسكه وكل المتواجدين الآن يعلمون أنه المسيح؟ لا نستطيع!

تغير المشهد وإذ بي أجد المسيح وحوله اثنا عشر رجلًا يجلسون على مائدة يأكلون منها، عليها طعام لم أرَ على هذه الدنيا مثله، وبعد انتهائهم من الطعام قال لهم المسيح: إنه قرب وقت رفعي إلى السماء.

قال له الاثنا عشر رجلًا في نفس واحد: لا يا معلم ابقَ معنا!

المسيح: إنه خير لكم أن أنطلق وأُرفع حتى يأتيكم (أحمد).

ثم بكى المسيح وقال: فليكن ملعونًا من يقول إني ابن الله!

قالوا بتعجب: ومن سيقول هذا؟!

المسيح: سيكون هناك الكثير الكثير من يقول هذا القول، ألا إنني رسول قد أرسلني الله إليكم، وأجرى الله على يديّ معجزات فعلتها بإذنه، وها أنتم ترون كهنة اليهود قلبوا عليّ الروم، يريدون قتلي، ولا محالة إني ذاهب ليتم ما نبأ به داوود والعهد القديم عني، فأنزل آخر الزمان فينصرني أتباع أحمد.

المسيح يكمل: أما إن لا نبي بعدي إلا أحمد، وإنه سوف يظهر الحقيقة التي دفنت بعدي، فيقول إني عبد الله ورسوله وكلمته وروح منه.

قطع حديث المسيح طرق الباب بقوة، فأشار المسيح إلى أحد الرجال، وقال: يا يهوذا اذهب وانظر ما الأمر!

يذهب يهوذا باتجاه الباب ويقول: يا رسول الله إنهم جنود الروم ومعهم كهنة اليهود.

يقول المسيح: الآن أزف الوقت، من منكم يُلقى عليه شبهي فيصلب مكاني ويكون رفيقي في الجنة؟

قال يهوذا: أنا يا رسول الله!

قال له المسيح: يا يهوذا أنت رفيقي في الجنة، ولا يضرك ماذا يقول الناس عليك بعد موتك من اتهامك بالخيانة والوشاية بي، فلتعلم أنه لا يضر الشاة سلخها بعد الذبح، فقد فزت يا يهوذا.

وبلمح البصر صار يهوذا نسخة طبق الأصل من المسيح، فينظر من هم متواجدون للاثنين بذهول شديد، وفجأة ينام المسيح الحقيقي دون أن يسقط على الأرض، ينام وكأن الهواء أصبح كالسرير يحمله ثم رفع أمامهم من داخل البيت، فاخترق سقف البيت إلى السماء حتى غاب عن الأنظار، حينها قام الجنود بكسر البيت، فيسأل الجنود كهنة اليهود: من هو المسيح فيهم؟

فيشير الكهنة إلى يهوذا: هذا هو المسيح! (ظنًا منهم أنه هو!)

فيمسكونه ويقول: أنا لست المسيح، أنا يهوذا... (فيضحك الجنود والكهنة).

فأخذوه وجلدوه وألبسوه لبس النساء وجعلوه يحمل صليبه، على كتفه، وبينما هو يسير إذ بصق عليه كهنة اليهود، ثم يعلقونه على الصليب في جبل الجمجمة، ويموت هناك يهوذا وهو يقول لست أنا المسيح.

حينها تلاشت الورقة من يدي ورجعت البيت الذي أصبح مشرقًا ورأيت الطاولة وفوقها الكتاب الخشبي، وليس أمامي إلا أن أمسك الورقة التالية خاصة عندما رأيتها مقطوع جزء كبير منها.

الورقة الثانية عشرة

(العلامات)

هذه هي الصفحة الوحيدة التي ليس لها وقت معروف ولا مكان معين، عجبت عندما رأيتها هكذا، مما دفعني بقوة لاكتشاف ما بها، ولم أتردد لحظه مطلقًا في مسكها، فبسطت يدي إليها وأمسكتها.

وما إن أمسكتها إلا ورأيت الدنيا تتزلزل وتتغير من حولي حتى غاب عني مشهد البيت، ورأيت ذلك الرجل الذي رأيته من قبل إنه دانيال! كان مجتمعًا مع اليهود ويقول لهم:

إن البيت قد هُدم، وهذا جزاء إفسادكم، وما حدث من نبوخذ نصر لكم إلا حصاد أيديكم وألسنتكم، أتعجبون أنتم من هدم بيت الله بأورشليم!

إن كنتم تعجبون فسيأتي يوم وتهدمون أنتم المسجد لتقيموا مكانة رجسة الخراب، وما إن يحدث هذا إلا علامة زوالكم ونهايتكم.

فإن لكم موعدًا مع أتباع نبي آخر الزمان سوف يدخلون القدس زاحفين من قبل المشرق من ها هنا من قبل أرض شنعار، فيتبروا ما علوتم تتبيرا!

يزول هذا المشهد ويأتي مشهد آخر، رجل يصيح في بني إسرائيل لم أره من قبل، ولكن كان من حوله يدعونه بنبي الله أرميا وهو يقول:

سوف يأتون يومًا قاصدين هلاككم، ويجتمعون حول القدس، ويقطعون شجر الغرقد، يقولون لبعضهم سلامًا سلامًا، أما أنتم فلا سلام، يا بني إسرائيل أنتم صنعتم الرجس والفساد، ووقت عقاب الله لا تتراجعون عن إفسادكم، سوف يكون عقابكم وخيمًا كما قال الرب، لأنكم ترفضون شريعة الرب، وقال لي الرب: كلهم مفسدون عاصون متمردون، لذلك ستجمع لهم الأمة العظيمة وتستأصل شأفتهم.

يزول هذا المشهد مجددًا، وإذا برجل يقول لبني إسرائيل، يا بني إسرائيل أنا يوحنا اللاهوتي، أوما كفاكم تكذيبكم للمسيح ابن مريم؟ فإني رأيت رؤية عظيمة هي لكم نذير،

رأيت أنكم تجمعون ملوك الأرض كلها من الشمال والجنوب والشرق والغرب، تجمعونهم كي يقاتلون أتباع الصادق الأمين، وتعبرون لهم من نهر الفرات حينها يكون نهر الفرات جافًّا!

ثم تقاتلونهم فينتصرون فيهلكونكم، ومن كثرة الجثث تغطي الطيور السماء فلا تُرى الشمس، إن الجنود الذين يهلكونكم من أرض شنعار وأشور.

يزول هذا المنظر ورأيت رجلًا آخر يدعوه من حوله حزقيال يقول لهم:

أما القادمون نحوكم من شنعار وأشور فهم كالنمور والصقور، يجتمعون لكم من جميع الأرض، وتجمعون لهم أنتم جميع من في الأرض، قلوبهم كزبر الحديد، لا يخشون الملوك، قوتهم مستمدة من إلههم، ترتعب قلوبكم منهم، لا يتركوكم حتى يفنوكم، فيقيموا شريعة اللّٰه في أرضه.

وهنا اهتز المكان ورجعت لنفس الساحة التي أصبح فيها الضوء يتلألأ من شدة الإنارة، وأمامي الكتاب مستقر على تلكم الطاولة دون تردد أمسكت الورقة التالية.

الورقة الثالثة عشرة

(الوعد الثاني)

التاريخ: المستقبل.

المكان: أرض الموعد.

أما هذه الورقة فانقبض قلبي حينما رأيت عليها رسمة لوسيفر، شكل الرسمة بشع أول ما يرد في ذهنك أنه الشيطان، ولكن الرسمة مختلفة عن الرسمات المعروفة، ثمة شيء غريب غير موجود في نظيراتها حقًّا، لم أرَ مثل هذه الرسمة من قبل، فرأس لوسيفر مقطوعة وملقاه بين قدميه وتنزف ذهبًا وكنوزًا، وقفت بعض الوقت أتأمل تلك الرسمة وترددت أن أمسكها، ولكن تحصنت بالأذكار ثم أمسكتها، اختفت الورقة من يدي وتغير المكان حولي، ثم رأيت مرجًا واسعًا مليئًا بالحشائش الخضراء، والنسور تحلق في سمائه، ويسري بهذا الوادي جداول صغيرة تجري فيها الدماء، الجثث متراكمة على ظهر الأرض، وأشلاء البشر متناثرة، فالأقدام والسواعد وخاصة الرؤوس المقطوعة هي العلامة المميزة لهذا

المكان، الرايات المرفوعة مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، هناك أيضًا رايات أخرى تخالط الجثث على الأرض عليها كتابات لم أفهمها، لأنها مكتوبة بلغة عبرية، يبدو أن المعركة انتهت من لحظات قليلة، هذا كان ملحوظًا خاصة أن هناك جثثًا ما زالت أكلامها تنزف الدماء.

حقًّا المنظر دموي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وتنخلع لهول المشهد القلوب وإن كانت من الحجارة! ثم لفت انتباهي أن الجيش كله يصلي، فأخذت أعد الركعات فوجدتها ثماني ركعات، ففهمت أن هذا كان فتحًا للمسلمين، وتذكرت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سن ذلك عندما صلى ثماني ركعات، ومن خلفه سعد بن أبي وقاص عند فتح المدائن وصلاها في إيوان كسرى، وأنا منشغل في استعادة تلك اللحظات، وجدتهم فرغوا من الصلاة، وجاء رجل من بعيد مسرعًا صارخًا: «يا أمير المؤمنين!»... الكلمة في حد ذاتها جعلت قلبي يطرب فرحًا، سيكون للمسلمين يومًا ما في المستقبل أميرًا للمؤمنين!

أمير المؤمنين: ما الخطب كأني سمعت أحدًا ينادي علي؟!

أحد الجنود: نعم يا أمير المؤمنين! إنه وزير الحرب قادم هناك ويصيح.

وزير الحرب: أيها الأمير جاءتنا أخبار أن الأعور الدجال ظهر!

أمير المؤمنين: وهل الخبر قطعي، أم أنه ظني؟

وزير الحرب: بل ظني يا أمير المؤمنين.

أمير المؤمنين: إذًا فاختر عشرة من أشد فوارسنا، وأرسلهم لأصفهان حتى يأتونا بالخبر اليقين!

وزير الحرب: أبشر يا أمير المؤمنين! أفعل إن شاء الله.

أمير المؤمنين: جزاك الله خيرًا عني وعن المسلمين! فلنعم وزير الحرب أنت.

وزير الحرب: أريد أن أشير عليك بشيء أيها الأمير.

أمير المؤمنين: وما هو؟!

وزير الحرب: حسب ما نقل لنا بسند صحيح متصل للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بنقل العدل الضابط، إن كان الأعور الدجال خرج وتأكد لنا ذلك، فلا بد لنا من التحرك نحو دمشق، فإن نزول المسيح ابن مريم وشيك جدًّا عند المنارة البيضاء بالمسجد الأموي، وإن هناك موعدًا لك معه حيث سيصلي خلفك.

أمير المؤمنين أجهش بالبكاء حتى انتحب، وما لبث إلا أن هدأ وقال: الله المستعان! فلنذهب الآن لنصلي بالمسجد الأقصى، وننتظر الخبر اليقين حتى ننظر ماذا نفعل.

تغير المنظر حولي واختفى السهل والجنود وأمير المؤمنين ومن حوله من جنود أطهار أبرار، وظهر لي رجل قبيح المنظر أعور العين جعد الشعر، ضخم الجثة، يشبه كثيرًا السامري الذي رأيته مع موسى إلا أنه أعور هنا، علمت مع أول نظره أنه أخبث مَن على ظهر الأرض، جالس هذا الأعور على عرشه، ويتحدث مع أحد الشياطين.

الشيطان: أدركنا يا سيدي، لقد حلت المصيبة!

الأعور الدجال: تكلم يا خبيث ماذا حدث؟!

الشيطان: لقد هُزم اليهود أمام جيش المسلمين.

الأعور الدجال غضب غضبة عظيمة، وصرخ قائلًا:

كان من الخطأ الاعتماد على هؤلاء الحمقى الضعفاء، كان لا بد أن أخرج أنا بنفسي، وأباشر كل شيء، رغم أني هيأت لهم كل شيء، وبذلت لهم كل شيء، حتى جعلتهم يملكون من أرادوا، ويضعون من أرادوا، يحدث هذا! لقد قمت بمجهود جبار، كونت جماعة اللوسفيريين النورانيين، وجعلت كل شيء على سطح المعمورة لا يمشي إلا بإذن مني، أسقطت الخلافة التي تعد أقوى حصن للمسلمين، وبدأت أجمع اليهود من سنة ١٩١٧ م، وبعد أن أصبحوا القوى العظمى في هذه الأرض، وبعد أن علوا كل هذا العلو الكبير، ينتهي كل شيء هكذا في لحظات!

جلس يصرخ الدجال صراخًا مرعبًا، وكأن صوته الرعد، وأكمل قائلًا:

آن الأوان للخروج، فقد هيأت كل شيء مسبقًا للحظة خروجي، فالشيعة سيتبعونني ظنًا منهم أنني إمامهم الاثنا عشري، والنصارى سيتبعونني ظننًا منهم أنني المسيا المخلص، واليهود سيتبعونني يقينًا منهم بأني ربهم وملكهم المخلص، غير من سيتبعني من كفرة الأرض وأحمق ساكنيها، كم كنت أود أن أخرج واليهود منتصرين! لكن لا بديل الآن عن الخروج... (ثم صرخ): الآن فليتجهز جنودي من الشياطين استعدوا وعدوا العدة حتى نتحرك إلى بلاد فارس فإن أتباعي من يهود أصفهان ينتظرونني وإنهم أول من يتبعونني.

حينها تغير المكان مرة أخرى ورجعت لنفس البيت المهجور، ووجدت صفحة الوعد الثاني تتلاشى وتختفي ويطير نورها وينتشر بالبيت، أصبح البيت من كثرة الإضاءة وكأن الشمس داخله، كنت أريد التكملة ولكن الوقت قد تأخر، حان وقت ذهابي لمنزلي، فتوجهت للمنزل وبالي مشغول بهذا الكتاب الرائع، واستلقيت على سريري أفكر فيما رأيته، وكنت متعجبًا من طريقة سرد الكتاب للأحداث، كنت أتمنى من داخلي أن أعلم ما هي نهاية هذا الكتاب، لا أنكر أنه أتضح لي جليًّا أشياء كثيرة من الورقات السابقة، التي تدور حول قصة نبوءة نبي آخر الزمان، وعن وعدين ببني إسرائيل، ونبوءة هلاكهم آخر

الزمان عند علوهم الكبير، حقيقة عصفت الأسئلة برأسي، وكانت كثيرة جدًّا، وكان شوقي لرؤية هذا الكتاب مرة أخرى أكثر من شوق الشاب للزواج!

جلست هكذا حتى غططت في نوم عميق، ثم استيقظت مع ضوء النهار، ولبست ملابسي مسرعًا، حتى أن زوجتي قالت لي: مالك يا أبا حمزة ترتدي ملابسك مقلوبة؟! فابتسمت وعدلت ملابسي وانطلقت كرصاصة خرجت من فوهة السلاح نحو البيت المهجور عفوًّا نحو البيت المضيء، وفي لحظات قليلة كنت أمام الكتاب الذي كان حاله كما تركته بالأمس، لا أنكر أن رغبتي الآن قد تقررت بأن أمسك آخر صفحة من الكتاب حتى ولو اختفى الكتاب بعدها، فقد وصل لي المطلوب، وفهمت الكتاب وتسلسله.

مددت يدي دون تردد فأمسكت الصفحات التي لم أقرأها بعد، وحاولت قلبها، وكانت ثقيلة جدًّا، وكأنها طن من الحديد مرت عدة محاولات، وأخيرًا نجحت، وبمجرد قلبها وجدت الكتاب خرجت منه نارًا عظيمة، ولم أستطع أن أمسك أي من صفحاته، ثم بدأ الكتاب في التلاشي شيئًا فشيئًا، حتى اختفى تمامًا من أمامي، ثم اهتزت الطاولة الخشبية وغاصت داخل الأرض.

البيت كله يهتز بقوة وبلاط الأرض يضيء، ثم صدر ضوء عظيم في المكان لم أستطع معه أن أرى شيئًا، ولم أقدر على فتح

عيني من شدة الضوء، فقمت بإغلاق عيني، ومن شدة الضوء كأني أبصره وأنا مغلق عينيّ، ثم صار الضوء تنخفض حدته تدريجيًّا، وبعد أن شعرت أنه ذهب فتحت أجفاني، ثم رأيت شيئًا في البيت لم أرَه من قبل!

وجدت مكان الطاولة التي غارت بالأرض نفقًا، فاقتربت منه ونظرت إليه، فإذ بي أرى سلالم ودرجاته إلى الأسفل وفي نهاية هذا النفق، حاولت أن أحدق بنظري لأرى ما في هذا الممر، ولكن لم يسعفني نظري للتحقق من شيء بسبب الظلام المنتشر.

فقلت لنفسي: وما الضير من أن أنزل السلالم، وأرى بأم عيني ما يوجد بالممر!

وضعت قدمي على أول درجة فأضاءت، فوضعت قدمي الأخرى على الدرجة التي تليها فأضاءت أيضًا، فصرت أنزل الدرج وأعده، وبعد أربع عشرة درجة انتهت تلك الدرجات، وأصبحت في أول الممر الخاص بذلك النفق، ولا يظهر لي سوى بضعة أمتار فيه، إلا أنني لا حظت أن الممر ينحدر للأسفل، فقررت أن أتقدم، وكلما تقدمت أضاءت القناديل المتواجدة بجنباته عندما أكون بموازاتها، كان نزول المنحدر سهلًا جدًّا، وبعد أن سلكت بالنفق حوالي ٣٠، وجدته انعطف عدة انعطافات شديدة يمينًا ويسارًا، جلست بالمنحدرات حوالي ٣٠ مترًا أخرى، ولم أستطع أن أكمل لأني بدأت أشعر بضيق في

التنفس، حينها قررت الرجوع مسرعًا، وكان الصعود صعبًا إلى حد كبير، فتماسكت حتى وصلت عند السلالم، فجثوت على ركبتي، وأخذت أنفاسي تتسارع، وأحسست بالراحة لتوفر الهواء، وقلت غدًّا أحاول مرة أخرى -إن شاء الله- أن أصل لنهاية الممر.

وبما أن الأشياء المفقودة لا نتذكرها إلا بينما نحن نصلي، فكذلك الأفكار لا تأتيك إلا وأنت نائم! وبينما أنا مستلقٍ على أريكتي أطلب النوم، طرقت الأفكار رأسي وشغلت ذهني، ما الطريقة إلى بلوغ آخر النفق، أنا لا أعلم كم طوله، وكذا صعوبة التنفس به تُمثل عائقًا كبيرًا بالأسفل، فمثلًا لو قمت بالجري في البداية حتى أصل للنهاية، فبلا شك ستخور قواي، ولا أستطيع أن أخرج من الممر إن استنفذت كل جهدي ابتداء.

فقلت أنزل بخطوات سريعة وسيساعدني انحدار النفق في الوصول بسرعة لمنتهاه، ثم أستعين بكل طاقتي وقوتي بالرجوع جريًّا، ولكن لا أعلم كم يبلغ طول النفق!

ثم طرقت رأسي فكرة مع بساطاتها إلا أنها رائعة فقلت أجلب خرطومًا طويلًا طوله ٢٠٠ متر، وأثبت طرفه عند السلم، وآخذ طرفه الآخر معي، أتنفس منه عندما يقل الهواء، وبمجرد أن وجدت هذا الحل لم أشعر بنفسي ونمت، وبالصباح قمت بشراء هذا الخرطوم، وتوجهت للنفق، وقمت بتثبيت بداية الخرطوم عند الدرج، ووضعت لفة الخرطوم

على كتفي، وكلما نزلت أرخيت من اللفة جزءًا، وعندما وصلت للمنعطفات بدأ يضيق صدري، فأمسكت طرف الخرطوم الآخر وجلست أتنفس منه، وكأن الأمر يسير على ما يرام.

وبعد المنعطفات مشيت بممر مستقيم لا يوجد به أي ميول، قرابة ٢٠ مترًا، ثم رأيت ثلاث درجات لسلم صعودًا وأمامهم باب مهيب لونه ذهبي، ولا يوجد له مقبض يفتح منه أو مكان لمفتاح! ولكن وفي وسط الباب مكان على شكل كفة يد بأصابعها الخمس غائرة للداخل، فقلت لعل الباب يفتح عند وضع كفة يدي اليمنى في هذا المكان الغائر!

وضعت يدي اليمنى فظهرت كلمات تتلألأ منقوشة على الباب باللغة العربية على الباب عبارة أربعة أسطر، كانت هذه السطور الثلاث الأولى:

هو علامة المُلك

داخله صوت طفل رغم أن به أمواتًا

تجده مرة في الماء ومرة بالسماء

أما السطر الرابع فكان مكتوبًا به الطريق الوحيد إلى فتح هذا الباب، أن تضع يدك وتحل لغزك حينها ينفتح الباب وترى العجاب.

جلست أردد الكلمات حتى حفظتها، وأزلت يدي، وعندما أزلت يدي تحول لون الباب إلى الأحمر، ثم ظهرت كتابة باللون الأبيض المشع نصها: (يوجد أمامك فرصة واحدة فقط لحل اللغز، ولا مجال للخطأ).

ثم تحول الباب للونه الذهبي مرة أخرى، وقفت أتأمل المنظر، وأنا لا أزال ملتقمًا طرف الخرطوم بفمي أتنفس منه، ثم قررت الرجوع، لأمارس حياتي الطبيعية، واعتزمت ألا أرجع إلا إذا كان لدي حل لهذا اللغز.

ولا أعلم هل سيأتي يومًا ما أستطيع حل اللغز فيه أم لا؟!!

كتبه

أبو حمزة محمد حسن

يزرعيل

"خطوة واحدة وتُصبح أسير بَيْنَ دفتي كتابي! سجين بعالمي! ووحدي صاحب القرار! لا تجرؤ وتسألني عِنْدَمَا تجد نفسك مُصَفَّد بالجحيم! أَوْ تنهش لحمك سمر الحراب! فقَدْ أصبحت سَجيني أتلاعب بك كَيْفَ أشاء! ألهو بك بَيْنَ ماضٍ وحاضر ومستقبلٍ! لا تُفكر أَيْنَ أنت الآن! لأنك ومِنْ هَذِهِ اللحظة صِرت أسير الصفحة التالية ... فاقرأ إن كنت تجرؤ!!"

تصميم: محمود هشام